

المسحاة

مجلة

المجلد التاسع عشر
الجزء التاسع



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

بؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي غيبرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الأبواب

المعراج
١٣١٥

فشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الأبواب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي و «منارا» كمنار الطريق

مصر ٣٠ ربيع الآخر ١٣٣٥ - ٢ الحوت (ش ٣) ١٢٩٥ هـ ٢٢ فبراير ١٩١٧

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتحننا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالتدرج غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولن مضي على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ رجح صندوق التوفير ﴾

(س ١١) من صاحب الامضاء بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الاستاذ الجلال حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فانا كثيرا ما سمعنا من الناس اباحة وضع الاموال في صناديق التوفير بالبريد وأخذ الفوائد منها وذلك مما لا نشك أنه الربا المحرم باجماع المسلمين لا نعلم بينهم خلافاً ثم اذا ناظرناهم فيه اسقندوا الى ان الاستاذ الامام رحمه الله وغفر له قى بجوازه في فتوى رسمية ولما كنا لم نر هذه الفتوى ولم نعلم وجهها وكتمنا أخص الناس بالامام وأعلمهم بأقوله وفتاويه لجأنا اليكم

لبيّنوا لنا فتوى الامام أولا وهل هي لا تعارض الكتاب والسنة ثانيا خصوصا وأن المجالس الحسينية قررت وضع أموال القاصرين في هذه الصناديق بناء على هذه الفتوى المزهومة كما يقولون وليكن بيانكم شافيا وافيا كما هو دأبكم ان شاء الله تعالى ما كتب

أبو الاشبال

عفا الله عنه بمنه

(ج) ان كان للاستاذ الامام فتوى رسمية في مسألة صندوق التوفير فهي توجد في مجموعة فتاويه بوزارة الحفانية ومنها تطلب ، وأنا لم أر له فتوى في ذلك ولكنني سمعت منه في سياق حديث عن مقاومة الخديوله ما حاصله: ان الحكومة أنشأت صندوق التوفير في مصلحة البريد بدكريتو خديوي (أمر عال) لييسر للقراء حفظ مازاد من دخلهم من نفقاتهم وتشميره لهم وقد تبين لها ان زهاء ثلاثة آلاف فقير من واضعي الاموال في صندوق البريد لم يقبلوا أخذ الرج الذي استحقوه بمقتضى الدكريتو. فسألتني الحكومة هل توجد طريقة شرعية لجعل هذا الرج حلالا حتى لا يتأثم فقراء المسلمين من الانتفاع به فأجبتها مشافهة بإمكان ذلك بمراعاة أحكام شركة المضاربة في استغلال النقود المودعة في الصندوق، فذاكر رئيس النظارة الخديوي في تهيؤ يراد كريتو الخديوي وتطبيقه على الشرع فأظهر سموه الارتياح لذلك . ولما قال له رئيس النظارة اننا استشرنا المفتي في ذلك غضب غضبا شديدا وقال كيف يبيع المفتي الربا؟ لا بد أن أستشير غيره من العلماء في ذلك . ثم جمع سموه جمعية من علماء الأزهر في قصر القبة وكلفهم وضع طريقة شرعية لصندوق التوفير ليظهر امام العامة بأنه هو المحامي عن الدين والمطبق للمشروع على الشريعة ، وان الحكومة كانت عازمة على إكراه المسلمين على أكل الربا بمساعدة المفتي لولا تداركه الامر . وقد وضع له العلماء مشروعا قدمته المعية لنظاره المالية . (قال) وان نظارة المالية عرضت عليّ ذلك المشروع لاقراره - أو قال للتصديق عليه - فوجدته مبني على ما كنت قلته للحكومة شفاها . هذا ما سمعت منه رحمه الله تعالى وأظن انه قال ان اولئك العلماء كانوا من فقهاء المذاهب الاربعة أو الثلاثة ولا أجزم بذلك

[المنار: ج ٩ م ١٩] شق صدر النبي (ص) وتطهير قلبه ٥٢٩

ومهما تكن صفة الطريقة التي وضعها العلماء لاستغلال أموال التوفير فلا يظهر
عدها من الربا المجمع على تحريمه وهو ربا النسبة الذي كان في الجاهلية وقد بينه
الامام أحمد لما سئل عن الربا الذي لا يشك فيه بمثل ما بينه غيره من أخذ الزيادة
في مقابلة التأجيل فقال: هو أن يكون له دين فيقول له - أي إذا حل أجل الدين
- اما أن تقضي ولما أن تربى ، فان لم يقض زاده هذا في المال وزاده هذا في
الأجل . وذكر الفقيه ابن حجر في الزواج ان الإساءة فيه كان بالشهور ، ولهذا
كان يتضاعف ويخرب البيوت

﴿ شق صدر النبي (ص) وتطهير قلبه من حظ الشيطان ﴾

(س ١٢) من صاحب الامضاء في الاسكندرية

سيدي الحكيم قدوة العلماء وتاج الفصحاء

من لا أسميه اجلالاً وتكرمة فقدرة المقلي عن ذاك يغنيني

أطفال على مائدكم العلمية التي أبهرت العقلاء وأعجبت الفصحاء لما عليها من
أصناف المعارف الحية وأنواع التعاليم الصحيحة - راجيا من علو آدابكم ومكارم
أخلاقكم أن تفسحوالي المقام فان لي قلبا يصبو الى ما يفوه به فوكم من الدرر وما
ينطق لسانكم من الحكم والعبر وما ينثره قلمكم من الفكر

في هذه الايام كثر الجدل حتى كاد يفضي الى الهلاك في مسألة (انشقاق
صدر الرسول عليه الصلاة والسلام واخراج قلبه وتطهيره من حظ الشيطان الذي وجد
معه من يوم أن ظهر على الارض ونزل من بطن أمه وامتلائه حكمة) - اختلفت آراء
القوم وتباينت في تلك المسألة فمن مصدق عليها مقر بحدوثها ومن مكذب لها مفند
لا يلوي الا على ما يثبت البرهان ويقبله الوجدان ويقربه العقل الرجيح - أما
المصدق لها فأدلتها ما جاء في البخاري بما معناه . ان النبي بينما كان يلعب في الصغر
مع أقرانه اذ نزل عليه جبريل فصرعه وشق صدره فأخرج قلبه وطهره من خبائث
الشيطان أو بالأحرى من موضع يوسوس له فيه الشيطان وملا قلبه نورا وحكمة

ولم يكتف جبريل بشق صدره مرة بل شقه مرات تبعا لازدياد الحكمة ونموها

(المجلد التاسع عشر)

(٦٧)

(المنار: ج ٩)

فيه كلاً كبيراً - حتى كان ليلة الأسراء وهو نائم ناداه من أحد الثلاثة مناد (كما يقول البخاري) فقام إليه وأتى فاذا هو جبريل وقد أفرج صدره ونظف قلبه ثم أسرى به - وقد قال النبي بما معناه كل مولود يستهل معه الشيطان . فسئل حتى أنت يارسول الله ؟ قال « حتى أنا ولكنني تغلبت على شيطاني » قال الله تعالى في سورة الحج (وما أرسلنا من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) الآية

وأما المكذب لها فانه باق على تكذيبها ، وما هو قد كتب اليكم ليسترشد بنور علمكم الساطع لا اعتقاده بأنك الزعيم الأكبر للمسلمين . تلك هي المسألة التي أرجو من حضرتكم إما تأييدها لتسير على مقتضاها ، وإما نفيها وبذلك تنتفي شبهة والباطيل التي نشوه سمعة الرسول عليه الصلاة والسلام - والامل وطيد في ان يكون الرد سريعاً لازات محفوظاً من الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته آمين

تلميذكم الخاضع

اسماعيل حسن خليه

(ج) لا بد أن يكون مرادكم بتكذيب المسألة تكذيب الرواية أو الروايات الواردة فيها التي أوردتم بعضها بالمعنى مخالفتم اللفظ والمعنى ، وقرنتم به آية الحج وليست من معناه في شيء بل معناها ان الرسل والانبياء اذا تمنوا لا يتم لهم موضوع أمانتهم بسبب وسوسة الشيطان للناس ولا محل لتفصيل ذلك هنا . وقد صرحتم بأن سبب التكذيب اعتقادكم ان مضمونها بعد طعننا في سمعة الرسول صلى الله عليه وسلم يجب ان ينزه عنه . ولكن لا ينبغي لمسلم أن يرد حديثاً مروياً بالعبلة في سنده ، أو معارضة ما هو أقوى منه لمقتنه بشرطه ، ومن أشكل عليه فهم شيء من الاحاديث فعليه أن يبحث ويسأل لأن يرد بهواه ، ويكذب من لا يعرف سيرته من الرواة . واننا نورد هنا ما روي في هذه المسألة أصحها سنداً ونبين ما في أسانيدها ومتونها مما يمكن أن يتعلق به من ينفي وقوع شق الصدر حقيقة ، ثم نبين ما ينبغي ان توجه به المسألة على تقدير صحة وقوعها فنقول

روى حديث شق الصدر في الصغر مسلم - لا البخاري - قال : حدثنا شيان ابن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك (رض) ان

[المنار: ج ٩ م ١٩] شيبان بن فروخ وحماد بن سلمة . روايتهما ٥٣١

رسول (ص) أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك . ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره (أي مرضعه حليلة السعدية) فقالوا ان محمداً (ص) قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون .

وأقول ان في هذا السند مقالا . قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب في شيبان بن فروخ صدوق بهم (أي يخطئ) ورمي بالقدر ، قال أبو حاتم اضطرب الناس إليه أخيراً . من صفار التاسعة . وقال في شيخه حماد بن سلمة : ثقة عابد أثبت الناس في ثابته ، وتغير حفظه بآخره ، من كبار الثامنة اهـ

وقال في تهذيب التهذيب بعد ثناء الأئمة عليه : وقال البيهقي هو أحد أئمة المسلمين إلا انه لما كبر ساء حفظه فلذا تركه البخاري وأما مسلم فاجتهد وأخرج من حديثه عن ثابت ما سمع منه قبل تغيره ، وما سوى حديثه عن ثابت لا يبلغ اثني عشر حديثاً ذكرها في الشواهد ، ثم قال الحافظ : وقال ابن سعد كان ثقة كثير الحديث وربما حدث بالحديث المنكر . وأقول يؤخذ من هذا الكتاب ومن ميزان الاعتدال انهم أنكروا من روايته عدة أحاديث شاذة في الصفات قبل انها دسست في كتبه .

هذا أصح ما روي في هذا الباب وقد علمت ما في مسنده ثم ان أنسا لم يرفعه وما كل ما يرويه الصحابي عن مجهول يحتاج به بل يفرق في روايته بين أحكام الدين وبين الاخبار عما كان قبل الاسلام اذ يمكن ان ينتهي الخبر الى بعض المشركين . وقد روي خبر شق الصدر عن حليلة السعدية مرضعته (ص) من طرق أخرى عند أهل السير والطبراني والبيهقي وأبي نعيم وابن عساكر كلها دون طريق مسلم منها الضعيف والموضوع كرواية البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس عن أبيه من طريق محمد بن زكريا الفلاني وكان كذاباً يضع الحديث . ورواية أبي نعيم وأبي اسحق وغيرها عن عبد الله بن جعفر عن حليلة من طريق جهم بن أبي الجهم قال الذهبي لا يعرف له قصة حليلة السعدية

فاذا كان السائل يرى أن هذا الحديث لا يصح لما رآه في متنه غير لائق

٥٣٢ رواية البخاري المصراحة بأن المعراج كان رؤيا منامية [المنار: ج ٩ م ١٩]

بمنصب النبي (ص) فقد علم أيضا أن في سنده مقالا ٤ وليس هو من عقائد الدين ولا من أحكامه القطعية

وقد ورد خبر شق الصدر في أحاديث المعراج أيضا المروية في الصحيحين والسنن وغيرها وقد استشكلها بعض العلماء فنورد منها ما لا بد منه لبيان هذه المسألة

أحاديث قصة المعراج في الصحيحين مدارها على أنس بن مالك فنها ما رواه بنفسه ومنها ما رواه عن غيره . وقد ذكر في بعضها شق الصدر دون بعض فأما حديث أنس فلم تذكر قصة شق الصدر في طريق من طرقه الا طريق شريك بن عبد الله بن أبي نمر عنه وهو في صحيح البخاري وتفسير ابن جرير ، قال أنس : ليلة أسري برسول الله (ص) من مسجد الكعبة جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال أوسطهم هو خيرهم ، وقال أحدهم خذوا خيرهم ^(١) ، فكانت تلك الليلة فلم يرم حتى أتوه ليلة أخرى ^(٢) فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ، فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبرئيل فشق جبرئيل ما بين نحره الى بطنه حتى فرغ من صدره وجوفه ففسله من ماء زمزم بيده حتى أتى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشوا ^(٣) إيمانا وحكمة فحشى به صدره ولغاديدته — يعني عروق صدره — ثم أطبقه ثم عرج به . الخ الحديث وفي آخره « واستيقظ وهو في المسجد الحرام » وهذه الرواية صريحة في أن ذلك كله كان في النوم وليس فيها ذكر لحظ الشيطان واحتج بها من قالوا أن المعراج كان رؤيا منامية وأولها من قال أنه كان في اليقظة بالروح والجسد ، ولا يحتاج الى تأويلها من قالوا أنه مشاهدة روحية . وفي نسخة من صحيح البخاري « فاستيقظت » بدل واستيقظ ، وهي كما قال شيخ الاسلام زكريا الانصاري التفات من الغيبة الى حكاية قول النبي (ص) والتور الذي ذكر أنه كان في الطست اثناء صغير يشرب فيه

وفي رواية شريك هذه مخالفة لغيرها في عدة أمور استشكلوها وأنكروها عليه

- (١) ورد أنه كان نائما بين عمه حمزة وابن عمه جعفر (٢) كانت هذه بعد البعثة بلا خلاف
(٣) حال وفي غير هذا الحديث ذكر وصف الطست نعتا لا حالا وليس فيه ذكر التور

[المنار: ج ٩ م ١٩] رواية البخاري المصروفة بأن المصراع كان رؤيا منامية ٥٣٣

وغلطوه فيها أهمها قوله « ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى » مع أن الثابت في الصحيح أن آية (ثم دنا) نزلت في جبريل عليه السلام. وهالك ما في فتح الباري للحافظ ابن حجر في ذلك :

قال الخطابي : ليس في هذا الكتاب - يعني صحيح البخاري - حديث أشنع ظاهرا وأبشع مذاقا من هذا الفصل فإنه يقتضي تحديد المسافة بين أحد المذكورين وبين الآخر وتمييز مكان كل واحد منهما - هذا إلى ما في التدلي من التشبيه والتشليل له بالشيء الذي تعلق من فوق إلى أسفل (قال) فمن لم يبلغه من هذا الحديث إلا هذا القدر مقطوعا عن غيره ولم يعتبره بأول القصة وآخرها اشتبه عليه وجهه ومعناه وكان قصاراه إما رد الحديث من أصله وإما الوقوع في التشبيه ، وهما خطتان مرغوب عنهما. وأما من اعتبر أول الحديث بآخره فإنه يزول عنه الاشكال فإنه مخرج فيهما بأنه كان رؤيا لقوله في أوله « وهو نائم » وفي آخره « استيقظ » وبعض الرؤيا مثل يضرب ليتأول على الوجه الذي يجب أن يصرف إليه معنى التعبير في مثله وبعض لا يحتاج إلى ذلك بل يأتي كالمشاهدة.

(قال الحافظ بعد نقل ما تقدم) قلت : وهو كما قال ولا التفات إلى من تعقب كلامه بقوله في الحديث الصحيح أن رؤيا الأنبياء وحي فلا يحتاج إلى تعبير . لأنه كلام من لم يعمم النظر في هذا المحل . فقد تقدم في كتاب التعبير أن بعض رؤى الأنبياء يقبل التعبير . وذكر الحافظ الأمثلة من الصحيح على تأويل النبي (ص) لبعض الرؤى بغير ظاهرها . ثم ذكر أن الخطابي تعقب في جزئه بأن ما ذكر كان في المنام وقوله أن القصة بطولها إنما هي حكاية يحكيها أنس من تلقاء نفسه لم يعزها إلى النبي (ص) ولا نقلها عنه ولا أضافها إلى قوله ، فحاصل الأمر في النقل أنها من جهة الراوي إما من أنس وإما من شريك فإنه كثير التفرد بمناكر الالفاظ التي لا يتابعه عليها سائر الرواة انتهى - أي كلام الخطابي ثم أطال الحافظ البحث فيه ، ولا يعني منا من بحثه هنا إلا قوله بأن للحديث حكم المرفوع لأنه مرسل صحابي فيما لا مجال للرأي فيه ويفسر هذا ما يأتي

وأما ما رواه أنس عن غيره مشتملا على مسألة شق الصدر فليس في الصحيح

منها الا حديث مالك بن صعصعة الانصاري المرفوع الذي رواه أنس عنه ولم يرو أحد عنه غيره. وأوله كما في البخاري: «بينما أنا في الخطيم - وربما قال في الحجر - مضطجعا [قال الحافظ : زاد في بدء الخلق « بين النائم واليقظان] اذا أتاني آت فقد قال سمعته يقول - فشق ما بين هذه الى هذه...^(١) فاستخرج قلبي، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا ففسل قلبي ثم حشي ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل » الخ الحديث . والظاهر أن أنسا روى هذه القصة غير مرفوعة عن مالك هذا فصرح باسمه مرة وأرسلها مرة أو مرارا عند ما كان يحدث بها وذكر في بعض المرات ما سكت عنه في بعض . وهذه تؤكد أن القصة كانت في النوم وتضعف تأويل المؤولين الا من قال بحصولها مرة في اليقظة ومرة أو أكثر من مرة في الرؤيا ان أثبت ذلك

وقد روى أنس مسألة شق الصدر في أحاديث المراجع عن أبي ذر مرفوعة في الصحيحين قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله (ص) قال « فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغه في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فمرج بي الى السماء » الحديث فهذه الرواية لم يصرح فيها بأنه كان نائما ويمكن حملها على المصرحة بذلك دون العكس . ولذلك جزم الحافظ بأن القول بتعدد المراجع في اليقظة بعيد جدا تنافيه المراجعة في مسألة فرض الصلاة منافاة ظاهرة . واذا كان الجمع بين تعارض الروايات الصحيحة السند متعذرا بدون القول بالتعدد، وكان القول بالتعدد في اليقظة بعيدا بل غير معقول - فلا مندوحة عن القول بأنها كانت رؤيا منامية اما كلها أو يستثنى واحدة منها كانت في اليقظة ، والاكثر على هذا ، فيمكن أن يقال اذا ان شق الصدر كان في الرؤيا المنامية التي تكررت دون واقعة اليقظة الا أن تكون هذه مشاهدة روحية كما قال بعضهم

وأما حديث مس الشيطان للمولود فهو مروي في الصحيحين عن أبي هريرة باستثناء عيسى في بعض الروايات وعيسى وأمه في بعض والحديث واحد وسيأتي نصه في (١) يعني من ترقوته الى آخر مراق بطنه وفسر في هذه الرواية بلفظ آخر

[المنار: ج ٩ م ١٩] حديث الشيطان القرين واسلام شيطانه (ص) ٥٣٥

تلخيص الجواب. وقد استشكل بعض العلماء معناه قال الحافظ في شرحه من الفتح مانصه: « وقد طعن صاحب الكشف في معنى هذا الحديث وتوقف في صحته فقال ان صح هذا الحديث فعناه ان كل مولود يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين وكذلك من كان في صفتها لقوله تعالى (الا هبذك منهم المخلصين) قال واستهلال الصبي صارخا من مس الشيطان فخييل لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب يده عليه ويقول هذا ممن أغويه . وأما صفة النخس كما يتوهم أهل الحشو فلا، ولولمك ابليس على الناس نخسهم لامتلات الدنيا صراخا انتهى . وكلامه متعقب من وجوه والذي يقتضيه لفظ الحديث لا إشكال في معناه ولا مخالفة لما ثبت من عصمة الانبياء بل ظاهر الخبر ان ابليس ممكن من مس كل مولود عند ولادته لكن من كان من عباد الله المخلصين لم يضره ذلك المس أصلا واستثنى من المخلصين مريم وابنها فانه ذهب بمس على عادته فخير بينه وبين ذلك، فهذا وجه الاختصاص ولا يلزم منه نسلطه على غيرها من المخلصين . وأما قوله لو ملك ابليس الخ فلا يلزم من كونه جعل له ذلك عند ابتداء الوضع ان يستمر ذلك في حق كل أحد. وقد أورد الفخر الرازي هذا الاشكال وبالغ في تقريره على عادته وأجل الجواب فإزاد في تقريره على ان الحديث خبر واحد ورد على خلاف الدليل لان الشيطان أعما يغوي من يعرف الخير والشر والمولود بخلاف ذلك وانه لو ممكن من هذا القدر لفعل أكثر من ذلك من اهلاك وفساد وانه لا اختصاص لمريم وعيسى بذلك دون غيرها الى آخر كلام الكشف. ثم أجاب بأن هذه الوجوه محتملة ومع الاحتمال لا يجوز دفع الخبر انتهى. وقد فتح الله تعالى بالجواب كما تقدم والجواب عن اشكال الاغواء يعرف مما تقدم أيضا وحاصله ان ذلك جعل علامة في الابتداء على من يتمكن من اغوائه والله أعلم . انتهى كلام الحافظ

وأما حديث قرناء الناس من الشياطين الذي ذكر فيه اسلام شيطان النبي (ص) أو سلامته من وسوسته فهو مروي في صحيح مسلم من حديث عائشة وعبد الله بن مسعود ولفظهما « ما منكم أحد الا وقد وكل الله به قرينه من الجن » قالوا وإياك يا رسول الله ؟ قال « وإياي الا ان الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني الا بخير » وقد

ضبط بعضهم « فاسلم » برفع الميم واختاره الخطابي ومعناه فأنا أسلم من شر وسوسته، وضبطها بعضهم بفتح الميم ومعناه فصار هو مسلماً وقيل مستسلماً . وهما روايتان وقوله « فلا يأمرني الا بخير » يرجح الثانية بل يوجب الجزم بها . قال النووي في شرحه: قال القاضي (أي عياض) واعلم أن الامة مجتمعة على عصمة النبي (ص) من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه وفي هذا الحديث اشارة الى التحذير من فتنة القرين ووسوسته واغوائه فأعلمنا بأنه معنا لنحذر من وسوسته بحسب الامكان اهـ

أقول وفي رواية أخرى لهذا الحديث «وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة» ويوضح هذا حديث ابن مسعود عند الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه « ان للشيطان لمة بابن آدم والملك لمة ، فأما لمة الشيطان فايصاد بالشر وتكذيب بالحق » الخ وهذا الملك الذي يقابل الشيطان يسمى ملك الالهام وهو الذي عبر عنه النبي (ص) بقوله « واعظ الله في قلب كل مؤمن » وقد بينا مسألة اتقسام الخواطر النفسية الى شيطانية وملكية في الجزء الاول من التفسير وفي هذا الجزء (السابع) منه أيضا فليراجع السائل تفصيل ذلك في تفسير (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) من جزء المنار الثالث من هذا المجلد (ج ٣ م ١٩) فهو يقرب لذهنه ما لعله يراه بعيدا عنه اذا لم يكن قرأه

وملخص الجواب ان حديث شق صدر النبي (ص) في طفولته ونظمه به من حظ الشيطان منه في سنده مقال ومته ليس مرفوعا الى النبي (ص) وليس له حكم المرفوع . وليس مته لاينافي عصمة النبي (ص) لان حاصل معناه ان روح القدس قد طهر قلبه وقده من الطفولية وقبل ان يصل الى السن التي تكون فيها الوسوسة ، وان حديث شقه في قصة المعراج كانت رؤيا منامية في الراجح ولا ذكر فيها لحظ الشيطان فحاصل معناها انها رمز وتمثيل لتأييد الروح القدس والملائكة له (ص) واعدادهم إياه لمناجاة الله عز وجل مناجاة خاصة . وأما حديث مس الشيطان للولود عند ولادته فسنده صحيح لا عبرة بمن تكلم في صحته ولكن استثناء عيسى وحده مرة فيه واستثناؤه هو وأمه مرة أخرى ان كانتا غير متعارضتين فلا عموم في الصيغة ، وينافي ذلك قولهم الاستثناء معيار العموم . وان كانتا متعارضتين سقط

[المنار : ج ٩ م ١٩] شيطان الوسوسة وملك الإلهام ٥٣٧

الاستدلال بهما أو يقوم الدليل على ترجيح أحدهما . وقد علمت ما قاله الزمخشري في الحديث وأقواه معارضة قوله تعالى (الا عبادك منهم المخلصين) له فانه صريح في ان الشيطان لا سلطان له على اغواء عباد الله المخلصين . وعلمت ما أجاب به الحافظ عن هذه المعارضة وهو ان هؤلاء العباد لا يضرهم ذلك المس اذا لا يدل الحديث على أن كل من مسه الشيطان يغويه . ونقول انه يجوز ان يكون المراد بالمس بيان توجه الشيطان الى التعرض للوسوسة للمولود واستعداد المولود لقبول الوسوسة التي هي تزيين الباطل والشر في النفس ، وكيفية المس على القول بأنه حقيقة لا تمثيل بمحت في عالم الغيب وهو ما أجمعوا على تفويض كیفيته الى الله تعالى اذا صح الخبر به وكان ممكنا في نفسه . وأما حديث القرين من الشياطين والقرين من الملائكة فهو أصح سندا وأقوى متنانا له شاهدا من القرآن (ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) والاحاديث التي وردت في توضيحه تدل على ان النفس البشرية فيها داعيتان إحداها للحق والخير والاخرى للباطل والشر ، وان الاولى ترجح بإلهام ملكي الاخرى باغواء شيطاني . ولكن الانسان هو الذي يزكي نفسه ويهذبها حتى ترتقي الى التناسب مع روح الملك وتلقي إلهام الحق والخير منها — أو يدسها ويفسدها حتى تهبط الى التناسب مع روح الشيطان وتلقي وسوسة الباطل والشر منها ، فمثل ملك الإلهام كمثل القرين الصالح من الناس لا يعاشر الا من يشاكله ، ومثل الشيطان كمثل قرين السوء لا يصاحب الا من يشابهه ، فكل قرين بالمقارن يقتدي به و « الارواح جنود مجنودة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » كما ورد في الحديث الصحيح ، واذا قارف الرجل الصالح خطيئة كان تأثيرها في نفسه معدا لوسوسة الشيطان أو يمحوه بعمل صالح يضاده « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » (ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين)

٥٣٨ بدع الجمعة والاذان وختم الصلاة والجنائز [المنار: ج ٩ م ١٩]

﴿ بدع الجمعة والاذان وختم الصلاة والجنائز ﴾

(س ١٣ - ٢٠) من صاحب الامضاء بطملاي مركز منوف مديرية المنوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد فهذا من عبد الرحمن احمد الصعيدي الى دار الدعوة والارشاد بمصر
يتشرف بالافادة عما سيذكر : في هذا العهد ظهر عندنا رجل ينهانا عما سيأتي

١ قراءة سورة الكهف جهارا داخل المسجد يوم الجمعة

٢ والاذان المسمى عندنا بالاول من يوم الجمعة

٣ والاذان الثاني داخل المسجد بين يدي الخطيب

٤ الترقية

٥ التبليغ في الصلاة

٦ ختام الصلاة جهارا في المسجد

٧ الصلاة والسلام على النبي عقب الاذان

٨ السير مع الجنائز بالذكر جهارا وقراءة البردة

وحيث اننا نفعل كل ما ذكر من منذ وجدنا بالدنيا وهذا الرجل يجتهد في ابطال ذلك ولا نعلم اذا كان عمل هذا من البدع فنتركه أم من الدين فننبهه

نرجو الافادة مع التوضيح وإفتانا عما ذكرناه لان في نفوسنا (ريبا) من ذلك :
وقال الله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وصلى الله على سيدنا محمد

مقدمه

وعلى آله وصحبه وسلم

عبد الرحمن احمد الصعيدي

الجواب عن هذه الاسئلة (*)

١ - قراءة سورة الكهف جهارا داخل المسجد يوم الجمعة - بدعة ليس لها دليل
من كتاب الله ولا من سنة رسوله (ص) ولم تؤثر عن سلف الامة الصالح . ولكن
لقراءتها يوم الجمعة بدون تقييد بالجهر وبكونها في المسجد أصلا ضعيفا ، قال الحافظ

(*) حذفنا سؤالا من هذه الاسئلة يتعلق بعادة مصرية بين العروسين

ابن حجر في تخریج أحاديث الأذكار: «ن أقوى ماورد في قراءة الكهف يوم الجمعة حديث أبي سعيد الخدري عند الحاكم في التفسير والبيهقي في السنن « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين » وقد أورده الحاكم من طريق نعيم بن حماد عن هشيم عن أبي هاشم وصححه ولكن قال الذهبي في الميزان: بل نعيم ابن حماد ذو مناكير. أقول بل جرح بأكثر من هذا، وقد وردت أحاديث أقوى من هذا في قراءة آل عمران وهود في يوم الجمعة، فلماذا لا يعمل بها هؤلاء الناس الموابطون على قراءة الكهف ان كان غرضهم العمل بالأحاديث لا اتباع العادة

ثم ان الاتيان بالعبادة المشروعة على وجه مخصوص وفي وقت معين لم يرد في الشرع ما يدل عليهما بدعة في كيفية الاداء المبذوة على الاتباع ، واطهار ذلك يجعل ما ليس من شعائر الدين شعارا . وهذا ما يسميه الشاطبي في الاعتصام بالبدعة الاضافية وسيعاد ذكره قريبا ، دع ما في رفع الصوت بقراءة الكهف أو غيرها في المسجد عند اجتماع الناس للصلاة من التهويش على المصابين وهو غير جائز وقد صرح الفقهاء بمنع الجهر بالتلاوة في المسجد اذا كان فيه من يصلي وأنه حرام . وفي حديث أبي سعيد الخدري : اعتكف رسول الله (ص) في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر وقال « ألا ان كلكم مناج لربه فلا يؤذ بعضكم بعضا ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة » رواه أبو داود

٢ — الاذان الاول يوم الجمعة — أحدثه عثمان في خلافته وأقره الصحابة (رض) وما رواه ابن أبي شيبة عن ابن عمر انه قال: الاذان الاول يوم الجمعة بدعة — فالأظهر انه استعمل البدعة هنا بمعناها اللغوي لا للإنكار ومعناه انه لم يكن في عهد النبي (ص) قيل ويحتمل انه للإنكار، أي لان مقتضى إكمال الدين في عهده (ص) ان لا يزداد في العبادات ولا سيما الشعائر بعده شيء، وإنما الاجتهاد في مسائل المعاملات والمصالح التي تختلف باختلاف الزمان والمكان لا العبادات وشعائر الاسلام التي لا يدخل فيها القياس الذي احتجوا به لفعل عثمان (رض) ويمكن ان يجاب عن هذا بأن الاذان للاعلام بالوقت وسيلة للصلاة اجتهادية لاعبادية مقصودة لأنها وان النبي (ص) استشار المسلمين في أمر هذه الوسيلة واستحسن ما كان منهم من رأي ورؤيا فلا أجل

هذا رأى عثمان والصحابة ان هذه المسألة يصح العمل فيها برأي أولي الامر اذا احتجج الى ذلك. فلما حدثت الحاجة بكثرة المسلمين وعدم تبكيرهم الى المسجد على نحو ما كانوا يفعلون في عهده (ص) أمر عثمان المؤذن أن يؤذن بهم تلبية على الزوراء — وهي موضع أو دار له بسوق المدينة — وأبقى ما كان من أذان المسجد عند جلوس الامام على المنبر كما كان ابقاء للعبادة كما كانت. قال السائب بن يزيد (رض) فيما رواه عنه البخاري وأبو داود والنسائي: كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء ولم يكن للنبي (ص) غير مؤذن واحد. وفي رواية أخرى لهم زيادة فثبت الامر على ذلك. والمراد بقوله النداء الثالث هو الاذان الاول فهو أول بالنسبة الى تقديمه في العمل وثالث بالنسبة الى حدوثه بعد الاذنين المشروعين لكل صلاة أعني الاذان والاقامة وكانوا يطلقون عليهما «الاذانين» على طريق التغليب أو لان الاول اعلام بوقت الصلاة والآخر إعلام بالشروع فيها، ولكنهم اذا ذكروا الاقامة وحدها لا يسمونها أذاناً بل إقامة. والمرجح المختار عندنا في هذه المسألة ان يتبع الناس في كل حالة ما كان عليه السلف الصالح فاذا علمنا ان المصلين اجتمعوا في المسجد على نحو ما كانوا عليه في زمن النبي (ص) وأبي بكر وعمر (رض) اكتفينا بأذان المسجد، واذا كانت الحال كما كانت في عهد عثمان وعلمنا ان الاذان الاول على المنارة أو في السوق مجلبة للمصلين فعلامه. ولا ينبغي لمسلم ان ينكر على أهل مسجد ما يختارونه من هذين الفعلين، اذ لا يصح ان يكون ما حدث في عهد عثمان ناسخاً لما قبله ولا ان يكون ضلالة من بعض الراشدين أقره عليها الصحابة، فليثق الله من تحدثه نفسه بهذا الانكار. وليعرف قيمة نفسه أولاً. وأما قول السائب: لم يكن له (ص) غير مؤذن واحد فهو خاص بأذان الجمعة

٣ — الاذان الثاني داخل المسجد بين يدي الخطيب — فيه أن فعله بين يدي الخطيب و بالتلقين للمعهود في بعض المساجد بدعة لا فائدة فيها ولا نعرف الحامل لمبتدعها عليها. وقد علم مما قلنا، أننا في مسألة الاذان الاول أن الاذان الثاني وهو الذي كان على عهد الرسول (ص) إنما يكون اذا جلس الامام على المنبر كما

[المنار : ج ٩ م ١٩] الترقية والتبليغ والاجتماع للاذكار عقب الصلوات ٥٤١

صرح به السائب في حديثه الصحيح . وأما مكانه فقد روى الطبراني فيه أن بلالا كان يؤذن على باب المسجد . وذكره الحافظ في فتح الباري محتجا به وهو المشهور ٤ — الترقية المعهودة في يوم الجمعة بدعة لانعرف لها أصلا من كتاب ولا سنة ولا اجتهاد أحد من الأئمة وإنما أحدثها بنو أمية وأنكرها الفقهاء من جميع المذاهب (راجع المنار ص ٣١ م ٦)

وقد استفتي شيخ الجامع الأزهر منذ بضع عشرة سنة في بعض المسائل المتعلقة بالجمعة مما تقدم فأفتى بأنها بدع منكرة . وقد أشار الاستاذ الامام الى هذه الفتوى ومقاومة بعض أصحاب النفوذ السياسي لها بقوله في كتاب الاسلام والنصرانية (ص ١٣٩ من الطبعة الثانية) فقال :

« سأل سائل من الاستاذ شيخ الجامع الأزهر عن حكم عمل من الاعمال الجارية في المساجد يوم الجمعة — ومنزلة الشيخ من الرئاسة في أهل العلم بالدين منزله — فأفتى بما ينطبق على السمة وما يعرفه العارفون بالدين وقال ان العمل بدعة من البدع يجب التنزه عنها . أبطن ان المستفتي أمكنه العمل بمقتضى الفتيا ؟ كلاً ، حدث قيل وقال ، وكثرة تسأل ، ودخلت السياسة ، ثم قيل ان الزمان ناصر الحقيقة وقد وجدنا الامر كذلك من قبلنا ، وسكت السائل وماذا يصنع المحيب ؟ اهـ »

٥ — التبليغ في الصلاة هو رفع المؤذنين اصواتهم بالتكبير للاحرام وأذكار الانتقال لاعلام من لم يسمع صوت الامام ولا يراه عند إحرامه وانتقاله من ركن الى آخر : وله أصل في السنة بما كان من صلاة رسول الله (ص) في مرض موته آخر جماعة اذ صلى قاعدا والناس خلفه قيام وأبو بكر (رض) يليقهم تكبيره . وقد صرح علماء المذاهب المشهورة بمجواز التبليغ اذا احتيج اليه فان لم يحتج اليه كان بدعة منكرة . على أن المؤذنين فيه بدعا كثيرة كفعلهم له جماعة ورفعهم اصواتهم أكثر مما ينبغي متحررين فيها حسن النغم وإطالتهن المد حتى يضطر الامام الى انتظارهم أو سبقهم فينتقل الى السجدة الثانية قبل فراغهم من تكبير السجدة الاولى مثلاً وقد بين الفقهاء ذلك وأطال فيه وفي غيره من هذه المسائل صاحب المدخل رحمه الله تعالى .

٦ — ختام الصلاة جهارا في المساجد والاجتماع ورفع الصوت من البدع التي

٥٤٢ الاجتماع لاذكار جهرية عقب الصلوات [المنار: ج ٩ م ١٩]

أحدثها الناس فاذا التزموا فيها من الاذكار ماورد في السنة كانت من البدع الاضافية وقد تساهل فيها كثير من مقلدة الفقهاء وأطال العلامة الشاطبي الكلام في انكارها في كتابه الاهتمام وقلناه عنه في المنار فليراجعه من شاء

وهذه البدعة قد انتشرت في الاقطار الاسلامية منذ بضعة قرون حتى عمت الغرب والشرق والجنوب والشمال ، ولما أنكرها من أنكرها في الاندلس كثر فيها القيل والقال، وقد كنت فطنت لها قبل أن أرى لاحد من العلماء كلاما فيها فتركتها في أواخر زمان الطلب ولكنني لم أترك الاذكار الواردة بل كنت أقولها وأنا، انصرف من الصلاة، ولم يخطر في بالي أن أنهي عنها أحدا، ولأنها يصح أن تسمى بدعة. ولما كنت في عليكة من الهند سنة ١٣٣٠ قدموني للخطبة وامامة الجمعة فلما فرغت من الصلاة لم أستطع الانصراف ولا التحول من شدة الزحام في المسجد ولا رأيت أحدا من الناس انصرف ولا قام لصلاة ولا غيرها، ثم خلص الي شاب من طلاب العلوم الدينية فأخبرني ان الناس ينتظرون أن يسمعوامني أذكار ختم الصلاة ليتبعوني فيها ويقوموا الى صلاة السنة البعدية وغيرها من شؤونهم ، قلت ان هذا غير مشروع ، قال ألم يرد في الصحيح أن النبي (ص) كان يقول بعد السلام « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام » قلت نعم قد صح انه كان اذا سلم لم يقعد الا بمقدار ما يقول ذلك (رواه مسلم) ولكن لم يصح انه كان يقول ذلك رافعا صوته لیسمعه الناس ويقولونه بقوله، وأنا قد قلت ذلك سرا. ولما جئت بيروت عند منصرفي من الهند أقمت فيها أياما كنت أقرأ درسا بعد الظهر في مسجد المجيدية من كل يوم، فشغل المؤذن بعد صلاة الجمعة يوما عن الاذكار والادعية التي جرت العادة برفع صوته فيها واتباع جمهور المصلين له، شغلته عنها صلاة جنازة، فظل كثير من الناس ينتظرونه متلفتين الى اليمين والى الشمال، فبدأت الدرس ببيان الحق في هذه المسألة وهو انه ليس من السنة أن يجلس الناس بعد الصلاة لقراءة شيء من الاذكار والادعية المأثورة ولا غير المأثورة برفع الصوت وهيئة الاجتماع كما اعتادوا في الاقطار المختلفة وان هذه العادة صارت عند الناس من قبيل شعائر الدين التي ينكر على تاركها والناهي عنها ، وانكار تركها هو المنكر. وان ما ورد في بعض الاحاديث من الاذكار كقول « اللهم أنت

[المنار: ج ١٩ ص ١٩٩] الصلاة والتسليم على النبي (ص) عقب الاذان وبدء الجنازة ٥٤٣

السلام « الخ والاستغفار والتسبيح والتحميد والتكبير والتلهيل يستحب أن يقوله الافراد سرا في أي حالة يكونون عليها بعد الصلاة من قيام وقعود ومشى ، وان الاجتماع لذلك والاشتراك فيه ورفع الصوت بدع هونها على الناس التعود ، ولو دعاهم أحد الى مثل هذه الصفات في عبادة أخرى كصلاة تحية المسجد مثلا لأنكروا عليه أشد الانكار. ولما عدت الى مصر وشرعت في طبع كتاب الاعتصام للشاطبي رأيت وفي هذه المسألة حقها فحمدت الله تعالى

٧ — الصلاة والسلام على النبي (ص) عقب الاذان — هي بدعة أيضا والقول فيها كالقول فيما تقدمها . قال صاحب المدخل : يطلب من امام المسجد أن ينهى المؤذنين عما أحدثوه من صفة الصلاة والتسليم على النبي (ص) عند الاذان وان كانت الصلاة والتسليم على النبي (ص) من أكبر العبادات ولكن ينبغي أن يسلك بها مسلكها فلا توضع الا في مواضعها التي جعلت لها ، ألا ترى ان قراءة القرآن من أعظم العبادات ومع ذلك لا يجوز للمكلف أن يقرأه في الركوع ولا في السجود ولا في الجلوس — أعني الجلوس في الصلاة — لان ذلك لم يرد والخير كله في الاتباع ، وهي بدعة قريبة الحدوث جدا. مما تقدم ذكره . فيما أحدثه بعض الامراء من التغني بالاذان . الخ

٨ — السير مع الجنازة بالذكر جهارا وقراءة البردة — كل ذلك من البدع التي لم يسكت عنها المشتغلون بعلوم الشرع كما سكت جماهيرهم على الاذكار التي اتصلت بالاذان والصلاة . على ان جميع ما ذكر في هذه الاسئلة والاجوبة من البدع قد بينه انصار السنة وخافلو البدعة من العلماء منذ أحدثت الى هذا العصر .

وبالبلاء كل البلاء في جعل عمل الناس حجة على كتاب الله تعالى ودواوين السنة مع أن بعض الائمة قال بالاحتجاج بعمل أهل المدينة في زمن الصحابة والتابعين فخالفه في ذلك سائر الائمة وجمهور الامة وخص بعضهم ذلك بزمن الراشدين فقط ، والآن يحتج الناس بعمل العوام الطغام ويسكوت من لا حجة في قوله فضلاء عن سكوته من المعتمدين ، أو بتأويل بعض المنافقين الذين يقرّبون الى العامة بما يرضيهم طمعا ببعض الحطام أو الجاه الكاذب عندهم .

وقد استفتي شيخ علماء الاسكندرية لهذا العهد في المسألة الاخيرة من هذه المسائل وفي مسائل أخرى مما أحدثه الناس في أمور الموتى فنذكر ذلك بنصه :

﴿ السؤال ﴾

« ما قولكم فيما يفعله الناس الآن من الصباح أمام الجنازة بنشيد البردة وغيرها والاجتماع للتعزية بنصب الخيام، وقراءة القرآن فيها أياما مخصوصة، وقراءة الصمدية بعدد مخصوص يسمونه (عشائة) ويزعمون انها تعشق الميت من النار وتفريق الخبز للقراء على القبور ، وأخذ القراء الخبز والنقود أجرا على قراءة القرآن — فأهل العلم فينا بين محرم لذلك ومحلل، وقد لجأنا اليكم كي تفيدونا ، هل هذا من الدين أم لا ؟ وماهي طريقة نبينا صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح من الأئمة في ذلك ؟ وما يحكم الله فيمن يخالف طريقتهم أفيدونا بأدلة تشفيينا ، فلا زلتم هداة الخائرين »

﴿ الفتوى ﴾

« الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد فما يفعله الناس الآن من الصباح امام الجنازة بنشيد البردة وقراءة القرآن ونحو ذلك غير جائز شرعا ، وهو خلاف السنة ، وخلاف عمل السلف الصالح ، لان السنه في اتباع الجنائز الصمت والتفكر والاعتبار وعلى ذلك جرى العمل من السلف الصالح، وقد قال الامام مالك رضي الله عنه (ان يأتي آخر هذه الامة بأهدى مما كان عليه أولها) وكذلك الاجتماع بنصب الخيام في التعزية مباهاة وافتخارا ، وقراءة القرآن بالكيفية الجاري العمل بها الآن في هذه المجتمعات ، وأخذ القراء الخبز والنقود أجرة على ذلك وأخذ ذلك سنة وعادة ، فليس من السنة ، ولا من عمل السلف الصالح، وإنما شأنهم انهم كانوا يذهبون الى صاحب المصيبة في بيته لحمله على الصبر وعدم الجزع ، من غير اطالة مكث ، ويدعون لصاحب المصيبة بالصبر ، والاعتناء بالمفخرة والرحمة ، ثم ان الذي ينفع الميت انما هو الصدقة على روحه ، والدعاء له بالمفخرة والرحمة ، اما اهداء ثواب الفاتحة وغيرها مثل قراءة القرآن بغير الطريقة التي أخرجته الى حد الفناء فبعض العلماء رجح حصول الثواب الى الميت ، وبعضهم قال بعدمه »

شيخ علماء الاسكندرية

مَدَامُ سَيِّدَتِي دَارُ الدَّعْوَةِ وَالْإِنشَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صديقي

١٨

أما نوبة الملاريا فلها ثلاثة أطوار: -

(١) طور البرودة - يشعر المريض بتعب وسامة وصداع وآلام في الظهر وبرودة، وتبتدى الرعدة فينكمش في فراشه ويرتجف جميع جسمه وتصطك أسنانه ويزرق وجهه وأنامله ويتنصب شعر جسمه كما يحصل من شدة البرد أو الفزع ويهبط النبض ويسرع ويضطرب ويتوتر، ويكون التنفس سريعا غير عميق ويكون سطح الجلد باردا حقيقة ولكن إذا وضع مقياس الحرارة في الفم أو في الدبر أو تحت الإبط رأينا الحرارة مرتفعة، فانها تبدأ في الزيادة قبل الرعدة بدقائق بل بساعة أو ساعتين أحيانا، وانما نشأ الاحساس ببرودة سطح الجسم من انقباض أوعية الدم فيه

ويكون مقدار البول كثيرا ولونه رائقا وكثافته قليلة. ويستمر هذا الطور نصف ساعة أو ساعتين. وترتفع الحرارة بسرعة في آخره إلى ما بعد ٤٠° ستنحجراد (٢) طور السخونة - يبدأ بالاحساس بالسخونة التي تعم الجسم كله فتزداد الحمى، وتزداد الشرايين، ويتوتر النبض ويسرع ويمتلئ، ويحترق الوجه، ويتصدع الدماغ. وفي بعض الحالات يهذي المريض أو يمتريه الذهول. ويكون البول في هذا الطور قليلا قائما كثيفا. وكثيرا ما تظهر [الحملة Herpes] حول الفم. ويستمر هذا الطور ٣ - ٤ ساعات

(٣) طور العرق - يتبدى الجسم أولا بالعرق بعد شدة جفافه ويعم الجسم كله ثم يصير غزيرا ويستمر ساعة أو ساعتين أو ثلاثا فيشعر المريض حينئذ بالراحة ويترطب لسانه، وتنخفض الحرارة أولا بالتدريج ثم تسرع حتى تصبح طبيعية [المنار: ج ٩ م ١٩] (٦٩) (المجلد التاسع عشر)

ويعود المصاب الى حالته الصحية الاولى . ويكون البول في هذا الطور كثيفا جدا وترسب فيه أملاح كثيرة من حامض البليك

ولا تحصل جميع هذه الاطوار لكل مصاب ، بل قد تقتصر النوبة على واحد منها أو اثنين ، فمثلا قد يشمر ببرودة خفيفة تعقبها سخونة مدة ساعتين أو ثلاث ولا يحصل عرق ، وقد يبرد ويهرق ولا يشمر بسخونة ، وقد يمرق فقط مع ارتفاع خفيف في الحرارة

أما الاطفال فيندر أن يحصل لهم رعدة بل يصابون بدلها بتشنج خفيف (قد لا يلاحظ) أو بتشنج شديد

وفي الاحوال المعتادة يكبر الطحال في طور البرودة والسخونة حتى قد يحس به تحت الضلع

وتحصل أول نوب الحمى هذه إما في الصباح أو وقت الظهر ، أما النوب التي تليها فلا تكون دائما في وقت النوبة الأولى بل قد تأخر عنها شيئا فشيئا حتى تحصل في المساء أو في الليل ، وقد تتقدم عنها شيئا فشيئا حتى تحصل قبل الفجر ، ويسمى النوع الاول بالمتفقر والثاني بالمتقدم

والاحوال المعتادة من هذه الحمى غير مميتة في الغالب إلا للاطفال الصغار أو الشيوخ أو السقاء . وقد يتمدد الطحال منها حتى ينفجر وينسكب الدم في تجويف البطن ، وقد ينزف الدم في منسوج الطحال نفسه ويتكون فيه خراج فينفجر في تجويف البريتون . ومضاعفات مثل هذه الاحوال ليست بكثيرة ، وأشهرها النزلة الشعبية والرعاف والبل الزلالي والآلام العصبية فوق الحاجب

أما الاحوال الخبيثة المسماة [بالصيفية الحريفة] فلا تكون نوبها منتظمة ولا مقطعة الا أحيانا قليلة تكون الفترة فيها قصيرة ، ويقل حصول الرعدة للمصاب ، وكثيرا ما يهتره اليرقان والغثيان والقيء والاسهال ، حتى قد تشبه هذه الحمى بالحمى التيفودية ، وقد تطول مدتها الى ثلاثة أسابيع وتنتهي كثيرا بالموت الذي يسبقه الهذيان أو الغيبوبة أو الاضطرابات الهضمية أو البول الزلالي أو النزف الدموي أو الهمود (المبوط)

[المنار: ج ٩ م ١٩] تشخيص النافض وعلاجها . كلمة الكينين ٥٤٧

ومن الانواع التي يتأثر منها المجموع العصبي بشدة نوع يمتاز بطول الفيوبة فيه حتي تمكث نحو ١٢ ساعة أو أكثر ويكون الشخص كأنه مصاب بنزف في مخه ، ومنها نوع يشتد فيه الهذيان والهيجان . وقد شوهد بعض أحوال يكون فيها المصاب كأنه ميت حقيقة فيقف تنفسه ويضعف نبضه وضربات قلبه حتى لا يمكن إدراكها واعلم ان هذه الحمى اذا تكررت نوبها جعلت الشخص سقيما عليلا مصفرا (لا بادة ميكروبها للكريات الدموية الحمراء) ويعتريه الدور وتلة الميل للطعام وآلام بالمعضلات والمفاصل والضعف والاستسقاء ، ويضعف الطحال والسكبد أو يكثر منسوجه الليفى وينيس ويضمّر ، وقد يصاب الشخص بالجنون أو بالتهاب الاعصاب أو بطنين الأذان أو الصمم أو فقدان الشم أو الذوق

التشخيص — إن أحسن الطرق للتحقق من تشخيص هذه الحمى البحث في الدم عن ميكروبها بواسطة المجهر . وليحترس من اعطاء الكينين للمريض قبل عمل هذا البحث فإن هذا الدواء يذهب الميكروب من الدم . ويختفي الميكروب أيضا من الدم في الانواع الحبيثة وقت انخفاض الحرارة أعني في الفترات التي بين نوب الحمى ، وأحسن الاوقات لمشاهدته في تلك الانواع هو ان يبحث في الدم عند ابتداء النوبة وقت صعود الحرارة . أما في الانواع الحبيثة فيكون الميكروب أكبر وأظهر في الفترات التي بين نوب الحمى

المعالجة — الفرض الذي يرمى اليه هو قتل الميكروب وإخراج سمومه من الجسم وإراحة المريض مما يحدثه من أعراض الداء . وأحسن الادوية وأشهرها لقتل هذا الميكروب هو [الكينين Quinine] ^(١) وأشهر أملاحه الكبريتات ،

(١) هذه الكلمة مأخوذة من لغة أهل بيرو Peru بامريكة الجنوبية ، ومعناها (القشر) لأن هذه المادة تستخرج من قشر شجرة « السنكونا Cinchona » وسميت هذه الشجرة بهذا الاسم لأن اميرة « شنكون Chinchon » زوجة حاكم بيرو عولجت بها من حمى فشفت في سنة ١٦٣٨ وفي السنة التالية احضرتها الى اوربة ، وبعد ذلك ادخلها الجزويت الى رومية ، ولذلك سميت ايضا « قشر الجزويت »

وهي مادة بيضاء خفيفة شديدة المرارة قليلة الذوبان في الماء فتذوب فيه بنسبة ١:٨٠٠ ولكنها سهلة الذوبان فيه باضافة أحد الحوامض اليه . ومقدار تعاطيها في اليوم ٢٠ - ٣٥ قمحة تقسم على ثلاث دفعات، والافضل أن تكون الدفعة الاخيرة قبل ميعاد حضور النوبة بنحو ست ساعات ، ولا مانع من اعطائها بعد طعام الفطور والغداء والعشاء ككثير من الادوية الاخرى . واذا قاءها المريض مزجت بقليل من الافيون أو حقنت في المستقيم أو تحت الجلد ، والافضل أن تمحقن داخل عضلات الالية ، وأحسن الاملاح للحقن في الشرج أو تحت الجلد هو [هيدرو بروميد الكينين الحضي] فانه سهل الذوبان في الماء ولا يهيج منه المكان المحقون، وجرعته من قمحتين الى عشر أو ١٥ قمحة

و [اليوكينين Euquinine] وهو إيتيل كروبونات الكينين يكاد يكون عديم المرارة ولا يضر المعدة ولا الاعصاب ، ولذلك كان أحسن دواء للاطفال والنساء . وجرعته تختلف من ٥ الى ١٠ قمحات بحسب السن

ويجب الاستمرار على تعاطي الكينين مدة بعد زوال الحمى لان بعض الميكروبات قد ينجو من فعله ويختفي في الطحال ثم يعود الى الظهور ويكثر فيحدث النكس ، فلذا يجب الاستمرار على تعاطيه بعد الشفاء بمقادير يعينها الطبيب (كخمس قمحات في اليوم) لمدة ثلاثة أشهر على الاقل

وهناك بعض أدوية أخرى نافعة في الملاريا ولكنها أقل قيمة من الكينين مثل مركبات الزرنيخ

وكثيرا ما يحدث من الكينين أعراض ضارة مثل طنين الأذان والصداع والاصم ، وقد تنقى هذه الاعراض بتقليل مقداره أو ابطاله مؤقتا أو اعطاء حامض الهيدرو بروميك أو الجويدار لمنع الاحتقان الناشئ من الكينين

الوقاية - تكون (١) بردم المستنقعات و (٢) بإبادة البعوض وذلك بصب زيت البترول على المياه التي توجد فيها البويضات والعلق لقتلها ، ويكون ذلك بنسبة أوقية لكل ١٥ قدماً مربعة من سطح الماء و (٣) باتقاء لدغ البعوض بمثل السكلة (الناموسية) وخصوصاً بالليل وهو وقت لدغ هذا النوع من البعوض في

[المنار: ج ٩ م ١٩] حمى البول الاسود الدوسنطاريا ٥٤٩

الغالب و (٤) بدوام استعمال الكينين في الاقاليم التي تكثر فيها الملاريا (بمقدار خمس قنحات يوميا)

حمى البول الاسود Blackwater Fever

نحدث هذه الحمى في الاقاليم الحارة التي تكثر فيها الملاريا لمن أقام بتلك البلاد سنة على الاقل فأكثر أو للذين أصيبوا بالملاريا ، ويقل حصولها لغير هذين السببين بحث الاسباب تفصيلا — ذهب العلماء في حقيقة سبب هذه الحمى مذاهب أهمها —: (١) أنها نتيجة إصابة شديدة بالملاريا (٢) أنها ملاريا متضاعفة بإصابة الكلتيين (٣) أنها نتيجة ميكروب مجهول (٤) أنها ملاريا مع عامل آخر كتسمم الجسم بمثل الكينين أو بسُم مرض من الأمراض كالفرنجي وغيره ، أو كالتعرض للبرد

الاعراض — تتقدمها آلام في الاطراف والدماغ وتوعك ثم رعدة قتي صفراوي قبول أحمر أو أسود بسبب ذوبان مادة الكريات الحمراء فيه ويكون فيه زلال كثير، وترتفع الحرارة الى ١٠٠ : مستجرا فأكثرت ثم تنخفض قليلا بعد بضع ساعات، ثم ترتفع مع رعدة أخرى، وهلم جرا. ويصاب المريض بالبرقان، ويضخم الطحال والكبد ويتألم المصاب من جسمها

وفي الحالات البسيطة تزول الاعراض بعد نحو أسبوع، وأما في الشديدة فيستمر القيء ويقل البول أو يبطل إفرازه ويصاب المريض بالغيبوبة أو الهمود ويموت وعدد الوفيات بهذا المرض هو من ١٦ الى ٥٠ في المئة

المعالجة — تكون بحسن التمريض والعناية بالمصاب والاكثر من شرب السوائل لادرار البول ، وتعطى المنعشات المقويات للقلب ، ولا يعطى المريض الكينين الا اذا وجد ميكروب الملاريا في الدم ، وحينئذ يعطى أي ملح من أملاحه غير الكبريتات فانها تساعد على إذابة الكريات الحمراء، ويكون مقدار أي ملح قليلا متكررا

الدوسنطاريا الاميبية Amoebic Dysentery

قلنا ان الدوسنطاريا نوعان : نوع ينشأ من ميكروب نباتي (وقد سبق الكلام

عليه في صفحة ١٠٢ من الجزء الثاني من هذا الكتاب (والآخر ينشأ من ميكروب حيواني وهو المراد بالكلام هنا

وكلمة [أميبا Amœba] يونانية معناها « المتغير » تطلق علي حيويين دقيق ذي خلية واحدة دائم التغير لشكله بما يرسله من جسمه في جميع الجهات من الارجل [الكاذبة ^(١) Pseudopodia] التي يتحرك بها حركة ذاتية ، وهو من أبسط الحيويينات المسماة [الحيوانات الاولى Protozoa]

ينسلق الانسان ثلاثة أنواع من الاميبا: (١) نوع يوجد في فمه اذا أصاب أسنانه النقد (التسويس) (راجع ص ٦٨ من الجزء الاول) (٢) ونوع يسكن الجزء الأعلى من الامعاء الغلاظ، والظاهر أنه لا ضرر منه (٣) والثالث هو أميبا الدوسنطاريا هذه وهذا الاميبا يشاهد في براز المصاب وفي المدة التي قد تتكون في الكبد (٢) بسبب هذا المرض ، وأكثر وجوده يكون في المواد المخاطية التي يبرزها المريض وقت اشتداد المرض أي في زمن حدته. قطر هذا الميكروب الحيواني هو من ٢٥-٣٥ ميكرونا ، أي ان حجمه كحجم ثلاث أو أربع كريات حمراء من كريات الدم . وهو يثقب الفشاء المخاطي للامعاء الغلاظ ويسكن تحته ويتكاثر ويحدث المرض وقد يصل الى الأوعية اللمفاوية أو الأوردة فيسير فيها

اسباب الدوسنطاريا الاميبية — يوجد هذا النوع من الدوسنطاريا في الاقاليم الحارة والمعتدلة ك مصر ، ولا ينتشر بشكل وبائي كالنوع الآخر السابق . وتنقل الاميبا بواسطة الماء الذي يتلوث ببراز المصاب أو بواسطة الاطعمة الملوثة به أيضا خصوصا الخضر . ويصيب المرض جميع الاجناس البشرية اذا تعرضت للعدوى وكذلك الصغار والكبار بلاميز بينهم ، غير أن الظاهر أنه يصاب الذكور أكثر من الاناث لقلّة تعرض هؤلاء له من أولئك . ولهذا النوع أيضا حملة كالنوع الاول يوجد الميكروب في أمعائهم ولا تحدث لهم أعراضه

الاعراض — لا تختلف أعراض هذا النوع كثيرا عن أعراض النوع الباسيلي

(١) سميت بذلك لأنها ليست دائمة بل تنبعث وتنقبض (٢) خصوصا بعد فتح خراج الكبد هذا بثلاثة أيام حينما تنقبض جدره

[المنار: ج ٩ م ١٩] مضاعفات الدوسنطاريا الاميية وعلاجها ٥٥١

الذي سبق ذكره الا في أشياء قليلة ، وهي أنه لا يكون ابتداءه مفاجأة بل تدريجيا في الغالب ، وتكون مدته أطول فانه يميل لأن يكون مزمنًا ، وتكون الحمى فيه أقل وكذلك الاضطراب العام وتكثر نكساته ولا يمنع ذلك من أن يكون أحيانا شديدا جدا ومميتا بسرعة ، فترفع الحمى ويقل البول ويكثر الزلال فيه . ومن الناس من توجد في أمعائه قروح ناشئة على هذا الميكروب ومع ذلك لا تظهر عليهم أعراض المرض ، ولكن ذلك قليل

المضاعفات — تحتقن الكبد أحيانا وتلتهب وكذلك الكليتان ، ويندر حصول النزف المعوي في هذا الشكل . وأهم المضاعفات خراج الكبد الذي يكون غالبا واحدا أو على الاكثر لا يزيد عن ثلاثة ، والسبب فيه وصول الميكروب الى الكبد بطريق الوريد الباب فيميت بسمه مفسوجه

ومن العقاقير ضيق الامعاء بسبب انقباض آثار القروح التي تحدث فيها
الانذار — يراعى فيه مسألة خراج الكبد وشدة الأعراض . ونخشى النكسة والازمان . والفواق علامة سيئة في الحالات الحادة لانه ينذر غالبا بقرب الاضمحلال والموت
المعالجة — لا تختلف عن معالجة النوع الباسيلي الا في نفع [عرق الذهب] وشدة تأثيره في هذا المرض ، وهو جذور شجرة في بلاد البرازيل بأمر يكة الجنوبية ، في هذه الجذور مادة مقبضة تسمى لذلك باللغات الافرنجية [Emetine] ولكنها شافية لهذا الداء . والجرعة من مسحوق هذه الجذور هي ٢٠ — ٣٠ قحمة ، ويستحسن اعطاء قليل من الافيون أو أحد مرباته قبلها بنحو نصف ساعة ويستلقي المريض على قفاه ولا يعطى له شيء آخر سوى قليل من الثلج لمصه ، وذلك كله لمنع القيء الذي يحدث من الدواء وتكرر الجرعة بعد ٨ أو ١٠ ساعات ، وإذا كانت الأعراض شديدة أعطيت الجرعة ثلاث مرات في اليوم ، وبعد زوال أعراض الدوسنطاريا يكمل العلاج بمركبات البرزموث والافيون ونحوها

ويفضل استعمال [الامتين Emetine] حقا نحت الجلد أو في داخل العضلات ^(١) بمقدار نصف قحمة مرة ليلًا ومرة نهارًا وعند ما تحسن الحال يحقن المريض

(١) ذلك أفضل لعدم إحداث ألم وورم وتيبس في مكان الحقن

مرة واحدة فقط في اليوم ، ولا يحدث القيء بهذه الطريقة كما يحدث من إعطاء مسحوق عرق الذهب نفسه بالفم . وهذا الدواء نافع أيضا في منع التهاب الكبد وخراجها لانه قاتل لميكروب الدوسنتاريا بسرعة عجيبة

والمعالجة بالامتين أو بعرق الذهب نافعة أيضا في الحالات المزمنة، وإذا تعاضت حقن المريض أيضا بالمحاليل المطهرة أو القابضة في المستقيم ، ويكون مقدار الحقن نحو لتر من المحلول الدافئ

الوقاية — تكون بتطهير الماء بالغلي أو غيره ، وبالامتناع عن أكل الخضر وغيرها الا اذا طهرت ، وبإبادة الذباب بقدر الامكان أو منعه من الوصول الى الطعام أو الشراب

الحمى الراجعة أو ذات النكس Relapsing Fever

مرض معد شهير ينتشر عادة بشكل وبائي وليس له طفرح مخصوص كمرض الحميات الاخرى وانما يمتاز بحصول حمى بضعة أيام تنتهي فجأة بعد نحو اسبوع ثم ترجع ثانية بعد مضي بضعة أيام وهكذا . وهي كثيرة الوجود في مصر وغيرها وقد كانت تنتشر بشكل مريع في السجون وغيرها حيث يكثر الازدحام

ينشأ الشكل المعتاد منها في مصر من ميكروب حيواني حلزوني الشكل اكتشفه [أبرميير Obermeier] في الدم سنة ١٨٧٣ وله أنواع يختلف بعضها عن بعض قليلا كما في بلاد الهند وأمريكا . طول هذا الميكروب يختلف من ١٦ — ٤٠ ميكرونا وعرضه ميكرون واحد . وهو يشاهد في دم المصاب بهذه الحمى بين كرياتها لا في داخلها . ويقول بعض الباحثين انه يمكن مشاهدته في طور التفريخ قبل حصول الحمى بنحو ٤٨ ساعة، ويقول آخرون انه يشاهد أولا في اليوم الثاني للحمى ويكثر عدده كلما تقدمت الحمى ولا يقل إلا اذا بلغت الحمى أقصى شدتها وارتفاعها قبيل البهران ، فاذا انخفضت الحرارة لا يشاهد الميكروب في الدم الى ان تعرب النوبة الثانية . وقد أمكن تلقيح الانسان والقرد بهذا الميكروب اذا حقن فيهما جزء من دم المصاب . وشاهد بعض العلماء أن الميكروب اذا اختفى من الدم ذهب الى الطحال وهناك يتعلمه بعض الكريات البيضاء وتقتله ، فلذا استنتج انه اذا أظلت بعضها من

القتل وعاد الى الدم تكاثر فيه فنتكس الحمى
والاصابة بهذه الحمى لا تحمي الشخص من عودتها بعد زمن اقليل
ولكنها تحمي غالباً من الاصابة بالتيفوس . ومن الاسباب المهيئة للعدوى الفاقة
والجوع والازدحام والقذارة . وذلك لانها تنتقل من شخص الى آخر بواسطة قمل
الجسم فقد شوهد فيه نفس الميكروب ، وهو لا ينتقل الى الانسان بلسع القمل
لجسمه ، وانما ينتقل بطريقة أخرى ، وهي أن المصاب بالقمل يكون كثير الحك لجسمه
فيتسلخ جلده قليلاً من أظافره أو غيرها فاذا سحقت قملة في أثناء الحك أو غيره
كالنوم عليها وأصاب دمها بعض تلك الجروح التي بالجلد دخل منها الميكروب الى
الدم وأصاب الانسان بالحمى . ويبقى الميكروب في جسم القملة مدة حياتها بل يصل
الى بويضاتها (الصئبان) فتتلحق به أيضاً ، ولذلك وجب الاحتراس من القمل
والصئبان فانهما ينقلان هذه الحمى

وهي تصيب الانسان في جميع الاعمار ولا تميز بين الذكر والانثى الا قليلاً
فان نسبة المصابين بها من الذكور الى الاناث تكون عادة كنسبة ٣ الى ٢ وهي
كثيرة الحصول للفقراء والشحاذين ونحوهم لكثرة ضعفهم ووجود القمل فيهم ، وقل
أن تصيب الاغنياء الا اذا صادفتهم قملة انتقلت اليهم من مصاب بها اقتربوا منه
وهناك نوع من هذه الحمى يحصل في أفريقية ينتقل من شخص الى آخر بواسطة
القراد ولكن مدة هذه الحمى أقصر فانها تكون عادة يومين أو ثلاثة ، ويوجد أيضاً
ميكروها حتى في بويضات القراد ، ويجوز أن ينتقل الى الجيل الثالث من نسله
الاعراض — يتراوح طور التفريخ بين يوم و١٦ يوماً ولكن في أكثر الاحوال
يكون أقل من تسعة أيام . وتبدأ الحمى فجأة بقشعريرة أو برعدة يعقبها سريعاً
صداع في الجبهة وآلام في الظهر والاطراف . وبعد زمن يسير تزول القشعريرة
ويخلفها احساس بحرارة في الجسم ويزداد الصداع والآلام المذكورة . وتكون درجة
الحرارة في اليوم الاول ٣٩ أو أكثر فيضطرب المريض الى التزام الفراش ويشتد به العطش
والاقياء وقد يمتريه الغثيان والقيء ويحترق الوجه ويبيض اللسان وتزداد درجة الحرارة
في الليل فتكون ٤٠ أو ٤١ وتنخفض قليلاً في الصباح فتكون أقل بدرجة غالباً

وقد تتكرر الرعدة ويكثر العرق . ويسرع النبض وكذلك مرات التنفس . ويعتري المريض في بعض الاحوال البرقان الشديد حتى يتكون البول بلون المرة (الصفراء) وتكبر الكبد والطحال خصوصا وتظهر [النملة Herpes] أحيانا على الشفتين وقد يحصل رعاف (نزف من الانف) . وتستمر هذه الحالة الى نحو من أسبوع، ويقل نوم المريض ويشتكى كثيرا من آلام المفاصل والعضلات ولكنه يبقى حافظا لقواه العقلية إلى قبيل النهاية وعندئذ يعتريه الهذيان، وتشتد الحمى جدا حتى قد تصل إلى ٤٢ و ٤٩ وحينئذ تنفجر الأزمة فجأة ويحصل البهران فيكثر العرق وتقل مرات النبض والتنفس وتنخفض الحرارة بسرعة ويشفى المريض غير أنه قد يعتريه همود خصوصا اذا كان شيخا، وقد يصحب البهران اسهال أو رعاف وتكون الحرارة أقل من الدرجة الطبيعية ثم يتحسن الحال بسرعة وتشتد شهوة الطعام وتعود قوة المريض في ثلاثة أيام أو أربعة . وبعد أن يظن أنه شفى تماما تعود اليه الحمى فجأة كما بدأت ويكون ذلك بعد مضي اسبوع تقريبا، فيصير المريض في عين الحالة التي كان عليها في المرة الاولى ، وبعد بضعة أيام تنتهي النكسة بالبهران أيضا . وقد ينكس المريض ثانية وثالثة ورابعة وكذا خامسة في النادر . ومن المرضى من لا ينكس البتة . وتكون مدة النكس في الغالب أقل من مدة المرض الاولى فتكون عادة أربعة أيام أو خمسة وقد تكون يومين أو ثلاثة ، وتكون النكسة في الغالب أخف وطأة من الحمى الاولى ولكنها أحيانا تكون أشد بل قد يموت منها المريض

واعلم أن جميع المدد المذكورة سابقا هي تقريبية فانها تتفاوت تفاوتاً عظيماً باختلاف الاشخاص فقد رأينا في السجون المصرية أن مدة الحمى الاولى قد تتراوح من يوم الى ثمانية أيام أو تسعة والفترة الاولى من يومين الى واحد وعشرين يوما ومدة النكسة الاولى من يوم الى عشرة والثانية من يوم الى سبعة وهم جرا في الاختلافات العظيمة في مدة الفترات وأيام النكس، ومن المسجونين من نكس أربع مرات (١) وعدد الوفيات يختلف من ١٤ الى ١٨ في المئة ويحصل الموت عند اشتداد

(١) راجع تقرير جناب الدكتور (كرتون Kirton) رئيس القسم الطبي بمصلحة السجون المصرية عن سنة ١٩٠٧ م

[المنار: ج ٩ م ١٩] الجمعيات الاتحادية لتكوين العصبية التركية ٥٥٥

الكرب في الحمى الاولى أو عقب البهران مباشرة من الهمود خصوصا في الشيوخ كما تقدم . وقد يحصل الموت بسبب التسمم البولي والتشنج أو بالالتهاب الرئوي أو بالزحار أو غيره
ومن المضاعفات غير ما ذكر ضخامة الطحال وتمزقه ، والحمرة بالاطراف السفلى ،
والتهاب الغدد الليمفاوية أو تقيحها ، والتهاب العين الذي يعميها ، واجهاض الحبالى
والنزف الرحمي الخطر

الجمعيات الاتحادية

لتكوين العصبية التركية

كتب بعض شبان العرب المتعلمين في مدارس الدولة العثمانية بالاستانة مقالات في الجرائد في موضوع هذا العنوان ثم رأينا في كتاب (ثورة العرب) الذي صدر بالعربية من عهد قريب كلاما مختصرا مفيدا في ذلك فنقلناه عنه لأجل الاعتبار به وإثبات ما يحتاج الى الرجوع اليه من تاريخ هذا الانقلاب الخطر. قال المؤلف تحت عنوان (الممول الاتحادي العظيم) ما نصه :

أنشأ الاتحاديون جمعية تركية عظيمة سموها جمعية « ترك أوجاغي » — أي طائفة الترك أو العائلة التركية — وجعلوا غايتها محو الاسلام وتثريك العناصر العثمانية ومركزها في الآستانة ومصاريفها من تخصيصات وزارتي الاوقاف والداخلية ومن المشيخة الاسلامية أيضا وهي منتشرة في كل بلدة وقرية في الاناضول والقوقاس وتركستان وتراقية ومكدونية ولها أربعة فروع لكل منها مهمة خاصة به وهذه الفروع هي

أولا « ترك يوردي » — أي المملكة التركية — ومهمته العناية بالآداب التركية بطرق شتى أهمها « تطهير » اللغة التركية من الكلمات العربية وجعلها لغة مفولية بحتة وتأليف الكتب القومية بهذه اللغة وتعليمها في المدارس ونشرها في البلاد

٥٥٦ الجمعيات الاتحادية لتكوين العصبية التركية [المنار: ج ٩ م ٩]

التركية وكتابتها بحروف منفصلة لكي لا يبقى بينها وبين اللغة العربية أقل شبه (١) ووظيفة أعضاء جمعية « ترك يوردي » مقاومة كل كاتب تركي أو غير تركي لا يرى رأيهم ولا يعتقد معتقدهم ونشر الكتب القومية والانشيد الحماسية بين الترك وتدريسهم التاريخ التوراني القديم وافهامهم ان الترك أعظم أمة في العالم اختارتها الاقدار لسيادة الامم . وقد جرى لهم حوادث عديدة مع فريق من عقلاء الترك أنفسهم كعلي كمال بك والدكتور رضا نور بك ولطفي فكري بك وغيرهم فاتهموا هؤلاء بالخيانة وتهديدوهم بالقتل وقالوا ان العنصر التركي يتبرأ منهم وانهم من أصل يوناني وانه لا وطنية لهم ولا قومية ولا شرف

ثانيا « ترك درنكي » - أي ثبات الترك - ومهمته بث الفكرة القومية في الترك العثمانيين وغير العثمانيين بشكل لم يسبق له مثيل في تواريخ الامم (٢) وأعضاء ترك درنكي من غلاة الاتحاديين وأشدهم كرهاً للعناصر ورغبة في تريكها والقضاء على الفكرة القومية فيها . وهم على جانب عظيم من الهمة والنشاط ولكن الغرور أعمى أبصارهم وأسدل ستاراً من الجهل على عقولهم فكانت ثمرة نشاطهم

(١) المنار : قررت وزارة الحرية في عهد ناظرها أنور باشا استعمال الحروف المنفصلة في الامور العسكرية فقط ، ثم نقلت اليها الجرائد أخيراً ان الاتحاديين قرروا كتابة التركية بالحروف الافرنجية ولا ندري كيف ينفذون ذلك

(٢) المنار : اذكر ان هذه الجمعية تشغل بتنقيح اللغة التركية وانها هي التي دعني الى مجلس ادارتها في الاستانة لما بلغها ان بعض المسلمين كتبوا الي من جاوه انه بلغهم أن الدولة العثمانية تضطهد اللغة العربية وتصرح بانها تظهر التركية منها وانهم لا يصدقون هذا الخبر الا اذا أكدته أنا لهم وانهم حينئذ يحذفون اسم السلطان من الخطبة ، ولما اجتمعت بهم وتذاكرنا في المسألة قال لي رئيس الجمعية ان عملنا في محض لا دخل له في السياسة ولا الدين فنتوسل اليك ان تستعمل بنفوذك الديني لازالة التهم السيئة التي حومت حوله . وجرى بيننا محاورة لبس هذا محلها

[المار: ج ٩ م ١٩] الجمعيات الاتحادية لتكوين العصبية التركية ٥٥٧

شراً على الدولة ووبالا (١)

ثالثاً : ترك بلكيشي — أي العلم التركي — ومهمة أعضائه ترجمة الكتب العلمية الى اللغة التركية القديمة ونشر هذه اللغة بين الترك وبث الفكرة القومية التركية في تركستان والقوقاس وربطهما بدولة الاتحاديين برابط سياسي متين رابعا « ترك كوجي » — أي القوة التركية — ومهمته العناية بصحة الترك وتقوية أجسامهم ونشر الألعاب الرياضة بينهم .

ويشترط للدخول في جمعية « ترك أوجاغي » أوفي احد فروعها ان يكون طالب الدخول تركيا وان يدفع رسماً شهرياً وان يتعهد ببذل حياته ونشاطه وماله لاعلاء شأن الترك وبسط سيادتهم على الامم الاخرى وان يغير اسمه باسم توراني يعرف به بين أصحابه فمن كان اسمه انور مثلاً صار يعرف اليوم بين أصحابه باسم ايشلداق — أي أنور بالتركية القديمة — ومن كان اسمه محمداً أو سليماً أو حسيناً أو سعيداً صار اسمه اليوم تيموراً أو جنكيزاً أو هلاكوا أو غوز الخ وقد بدّل كل الضباط الاتحاديين أسماءهم بأسماء تورانية وكذا رجال الحكومة الحالية لانهم كلهم من جمعية « ترك أوجاغي » ويعرفون بين أصحابهم الترك بأسماء تورانية غير أسمائهم التي يعرفهم بها غير الترك .

وقد أنشأت جمعية ترك أوجاغي وفروعها أندية عديدة في جميع المدن والقرى التركية لتدريس تاريخ الترك القديم ولا سيما تاريخ هلاكوا وأوغوز وجنكيزخان وبث الفكرة التركية في الامة التركية وجعلها تعتقد بتفوقها على الامم الاخرى في كل شيء . وعينت هذه الجمعية ثلاثة أيام في الاسبوع لتعليم النساء التركيات التاريخ القديم وبث الفكرة العنصرية فيهن وحملهن على العناية بربية أطفالهن تربية قومية تركية . وتبرعت وزارة أوقاف المسلمين أخيراً بخمسين ألف ليرة عثمانية لجمعية « ترك أوجاغي »

(١) بلغ منهم الفرور مبلغاً لا يتصوره العقل فينما كانت جيوش البلقانيين امام شطلجه تهدد كيان الدولة كان أحدهم — أحمد أغايف بك — ينشئ سلسلة مقالات في جريدة تصوير أفكار جاء فيها ما ترجمته « يجب ان تهتم تركيا بشؤون ايران أعظم اهتمام لان ايران طريقنا الى الهند والصين ! »

٥٥٨ الجمعيات الاتحادية لتكوين العصبية التركية [المفارقة: ج ٩ م ١٩]

لاجل تأليف توارنخ مفصلة لهلاكو وواغوز وجنكيز وتيمورلنك وأندية «ترك أوجاغي» محرم دخولها على غير الترك فكل من يود ان يدخل البراء يجب عليه ان يظهر للبواب ورقة عليها اسمه وورسمه وتاريخ ولادته وقد سعت جمعية ترك أوجاغي أخيراً في ترجمة القرآن الكريم الى التركية القديمة مع خطبة الجمعة والادعية الدينية وغيرها مما يوجب الدين الاسلامي تلاوته باللغة العربية وعزمت على نزع أسماء الصحابة من الجوامع لاعتقادها أن وجود هذه الاسماء العربية في الجوامع والاماكن المقدسة مما يضعف الفكرة القومية في الترك وليست المدارس العثمانية رشدية كانت أو اعدادية ملكية أو عسكرية إلا فروعاً من فروع جمعية «ترك أوجاغي» وكذلك جمعية الاتحاد والترقي وجميع الجمعيات السياسية والعلمية والدينية والادبية التي تأسست في الآستانة والاناضول قبل الحرب الاوربية وبعدها

وقد أدخلت الحكومة في برنامج مدارسها العالية ولا سيما المدرسة الحربية ومدرسة اركان الحرب في الآستانة درس تاريخ التورانيين وعلومهم الحربية وآدابهم ونظاماتهم وعهدت الى احمد اغايف بك وأمين بك وخالد ضيا بك وحمد الله بك في إلقاء محاضرات يومية في هذه المواضيع على تلامذة المدارس الحربية ومدارس الحقوق والطب والهندسة وغيرها وترسيخ الفكرة التركية في نفوسهم . واستعاض التلامذة في جميع المدارس الابتدائية والاعدادية والعالية من الكتب العصرية بمجموعة «ترك يوردي» — المملكة التركية — وكتاب ترك قليجي — السيف التركي — وتاريخ توران وتاريخ تيمورلنك وهلاكو وجنكيز خان وغيرهم .

وفي كل يوم يجتمع تلامذة المدارس الحربية في ساحات مدارسهم ويستلون سيوفهم وينشدون نشيدهم الوطني الذي يبتدي بهذه الايات :

جنكز خانك بايراغي أنلي شانلي صانلاندي

آيت خانك بايراغي حربده بويله كلاتدي

أي : لقد تموجت أعلام جنكيز خان في جو المجد والشرف وأرشدتنا أعلام

آيت خان الى نهج هذا الطريق المجيد في الحرب . الخ

[المنار : ج ٩ م ١٩] الجمعيات الاتحادية لتكوين العصبية التركية ٥٥٩

والاغرب من هذا كله الدعاء الجديد الذي الفته جمعية « تورك يوردي »
وجعلت الترك يستعملونه في منازلهم ومدارسهم، وقد قررت أخيراً استعماله في الجوامع
في الاستانة والاناضول وهذه ترجمته :

« أيها الاله القادر على كل شيء أنعم على الترك بالصحة والعافية وأحسن
اليهم بذئب أبيض^(١) واشملهم برعاية مولانا السلطان الاعظم
« وأنت يا مملكة توران الجميلة المحبوبة ارشديننا الى الطريق المؤدية اليك لان
جدنا اوغوز الكبير ينادينا

« أيها الاله القادر على كل شيء أنر طريق توران أمامنا واجعل امتنا كالورد
الناضر واهدنا الصراط المستقيم »

﴿ الاناشيد الحماسية في الجيش ﴾

أما الجيش العثماني فمعظم ضباطه وجنوده الترك من الاتحاديين ومن المنتسبين
الى جمعية ترك أوجاخي وهم يحتمقرون الضباط والجنود من أبناء العناصر العثمانية
الاخرى ولا يسمون الدولة الا الدولة التركية وينفرون من تسميتها الدولة العثمانية
لاعتقادهم ان البلاد العثمانية غير التركية ليست الا مستعمرة فتحها الترك بالسيف .
وهذا نموذج من الاناشيد الحماسية التي يترنمون بها في الجيش :

بزرگزسن تركلکه امانتسک

هيج قورقمه هب اولورسى ويرميز

أي : نحن ترك وأنت (يا آسيا) أمانة بيدالترك فلا نخشي شرا لاننا نفديك بارواحنا

اي ترك كنحجي يمدشير ارتق أو يومه

قوش كو يلينك امدادينه دورمه

أي : أنهض أيها الفتى التركي فقد نمت طويلا وأسرع في الحال الى امداد

بلاد اجدادك

جنكيز خانك بايراغبي انلى شانلى صانلاندي

ايت خانك بايراغبي حر بده بويله اكلاتدى

(١) الذئب الابيض اله من آلهة الترك الاقدمين وقد كان شعاراً لهم أيضا

٥٦٠ الجمعيات الاتحادية لتكوين العصبية التركية [المنار: ج ٩ م ١٩]

وقد سبقت ترجمته

انتقامي آله مزسك تركلك بزه نافله
صوصتره لم بايقوشلري يقيشربو ولوله
أي : لا يحق لنا ان ندعى اتراكا ما لم ننتقم من أعدائنا . فلنسكت اليوم عن
نعيه . وليكنفنا ماسمعناه من الضجيج والنحيب
يوريبالم ايلري يه اتلاية لم طاغ تبه
باطلاتالم بومبارلي جانلر كيرسون يراره
أي : هلموا إلى الامام فتنبسط امامكم الجبال والاكام وتتفجر قنابل الديناميت
وتفجر الارض فها لا بتلاع النواقيس والاجراس
آل بايراغك التنده انا آرم يورودي
كوك بايراغك التنده يكي توران يورودي
أي لقد سار اجدادنا الى المجد تحت العلم الاحمر الذي هو مصدر عظمة
نوران الجديدة

يورين طاغلر اينسين التون اردوشان ويرسون
آل بايراق ! ياغينلر اوزرنده يوكسلسك
أي : سيروا لتنبسط الجبال وتكسبنا جيوش التاي^(١) الشرف فان مجدنا
سيشاد تحت العلم التركي على الاتقاض والحرائق
بزايفورز دونميز قوناغمز طاغ اوه
تركز بزمدراسيا تركز تركز هبمز
أي : نحن سعداء فلا نرجع عن سيرنا الى الامام لان مسكتنا الجبال والبطاح
نحن ترك وآسيا كلها لنا نحن اتراك اتراك كلنا

﴿ كيف يعملون الامة ﴾

هذا نموذج من الاناشيد التركية الوطنية التي يتزم بها الترك في ميادين القتال
على مسمع من جنود العرب وضباطهم
(١) اسم الجبل آلتون طاغ الذي يعده الترك التورانيون بلادهم الاصلية

[المنار: ج ٩ م ١٩] الجمعيات الاتحادية لتكوين العصبية التركية ٥٦١

والى القراء نموذج من الخطب والدروس التي يلقيها على التلامذة العثمانيين في مدارس الدولة اساتذة من أعضاء جمعية « ترك اوجاغي » عينوا برواتب باهظة لتتريك ابناء العناصر العثمانية :

قال استاذ التربية العسكرية في المدرسة الحربية في الاستانة في درس القاه على صف الضباط بعد اعلان الحرب العثمانية بايام ماخلاصته [أي خلاصة ترجمته] :
« اود ايها السادة ان التقي عليكم كلمة في غاية الاهمية بمناسبة الحوادث العظيمة التي وقعت في الغرب فظهرت لنا معاشر الترك امورا لم نخطر في بالنا من قبل وعبرنا ينبغي أن نعتبر بها . فان البلجيكي الصغيرة تجاسرت على محاربة المانيا العظيمة ووقفت بجيش لا يزيد على مئة الف جندي امام أعظم جيش ذكره تاريخ بني البشر فحالت دون القضاء على حليفتهما فرنسا . لذلك لا سمعنا نحن الترك أعداء البلجيكي إلا ان نطأطأ رؤوسنا اجلالا لها واحتراما لجيشها الباسل . ولكن اتعلمون ايها الاصدقاء لماذا وقفت البلجيكي تيار الجيش الالماني العظيم ؟ وقفته لانها كانت تمار به باسم القومية وباسم الوطن . او تعلمون لماذا عظمت فرنسا وانكلترا ومانيا وسدنت العالم وصرن اعلى أمم الارض مقاما واكثرها ثراء ؟ لانهن خضن معترك الحياة باسم القومية لا باسم الدين . فعملينا ايها الاعزاء ان نظهر من الآن وصاعدا امام العالم بصيغة القومية المقدسة وان نضرب بالعصبية الدينية عرض الحائط

« نحن ايها السادة أتراك واني لأعجب من تسميتنا عثمانيين . فمن هو عثمان الذي نقتسب اليه ؟ انه تركي جاء من آلتاي واجتاح هذه البلاد بجيشه التركي . فانتسابنا الى أصله أشرف من انتسابنا اليه . وقد خدعنا بجهل أسلافنا في الماضي فبئس الاسلاف الذين أنسونا قوميتنا انكم ايها الاعزاء ستلحقون بالجيش قريه وستكونون اساتذة جنودنا الابطال . فعلموهم انهم ترك وانهم اذا حاربوا العدو من أجل الترك وتحت العلم التركي ينتصرون عليه ويحوزون ما أحرزته البلجيكي من المجد والفخر . وتأكدوا أن التركية خير لنا من الاسلام وان التعصب للجنسية من أكبر فضائل الهيئة الاجتماعية »

فأجابه أحد ضباط العرب قائلا : « تعلم ايها القائد ان للام الشرقية تقاليد

(المجلد التاسع عشر)

(٧١)

(المنار : ج ٩)

٥٦٢ الجمعيات الاتحادية لتمكين العصبية التركية [المنار: ج ١٩م ١٩٩٩]

لا يمكن الاغضاء عنها وقد حفظت الجنسية العثمانية هذه التقاليد وكفلت سلامة الدولة الى الآن. فتترك العناصر العثمانية أو انكار قوميتها عليها يؤدي الى اضمحلال الدولة في القريب العاجل . فأنا أحتج على هذا الكلام وأقول بكل صراحة ان الرابطة الاسلامية العثمانية هي الرابطة الوحيدة التي تربطنا بالترك . ولما كنت حضرتك تعلمني الآن ان هذه الدولة دولة تركية وان هذا العلم الذي عهدت الي في الدفاع عنه هو علم تركي أي علم أجنبي عني فقد قضيت على قوتي المعنوية قضاء مبرماً وأخذت كل عواطفى الوطنية لأنى أنا وأبناء العرب وجميع أبناء العناصر غير التركية لانحارب في جنب الترك الالمقاصد متحدة وذباعن حياض الاسلام والعثمانية. « فأجاب القائد قائلاً : « اعلم أن الحقيقة غير العواطف وأنت وان تكن عربياً فأنت وعنصرك من تبعة تركيا. ألم يستعمر الترك بلادك ؟ ألم يفتحوها بالسيف ؟ ان العثمانية التي تتخذها حجة لك هي حيلة اجتماعية يستعملها الضعيف للوصول الى غايته . أما الدين فلا شأن له في السياسة، وسننهض قريباً باسم التركية ونحت العلم التركي ونترك الدين جانبا لانه من الامور الشخصية الثانوية، أما أنت وأبناء جنسك فعليكم أن تعرفوا انكم ترك وأنتم ليس في العالم قومية عربية أو وطن عربي » (١) وقد احتج ضباط العرب الذين سمعوا هذه الخطبة الى وزارة الحرية وطلبوا منها عزل القائد الاستاذ فلم تبعاً باحتجاجهم ولا أجابهم الى طلبهم بل اتخذت التدابير اللازمة للتخلص منهم فقتلت بهم الى ميادين القتال وعرضتهم لرصاص العدو بلا سبب الا رغبتها في محوهم لينسى لها بعد ذلك قتل الفكرة القومية في بلادهم . وهذه الرغبة — رغبة قتل العرب — قديمة المهد في الترك الاتحاديين . فقد عثر ضباط العرب سنة ١٩١٢ في بولايير على كتاب من أحد زعماء الاتحاديين الى قائد اتحادي كبير جاء فيه « عرضوا العرب لرصاص العدو واعملوا على التخلص منهم لان قتلهم يفيدنا . أما الكرد فاحتفظوا بهم لانهم يلزمون لنا في بلاد الارمن » (٢)

(١) جرت هذه المناقشة على مسمع مئات من ضباط العرب في المدرسة الحربية في الاستانة وقد نقلها اليها غير واحد منهم فمر بناها للقراء اه من هامش الاصل
(٢) نشر هذا الكتاب في حينه في معظم الصحف العربية اه من هامش الاصل

رحلة الحجاز

٣

﴿ باخرتنا الحجاج - المنصورة والنجيلة ﴾

استأجرت الحكومة للحجاج باخري (المنصورة والنجيلة) وهما من أقدم سفن شركة البواخر الخديوية - وأما المحمل المصري فقد حمل مع أميره وعسكره على سفينة جربية إنكليزية - ولما كنا آخر من جاء السويس من الحجاج علمنا من أصدقائنا الموظفين في هذا الشأن أن المنصورة أسرع الباخرتين وأنه لم يبق في الدرجة الأولى منها موضع لي وللسيدتين لأن وفد العلماء المرسل إلى الحج على نفقة سلطان مصر المعظم قد ركب المنصورة قبل مجئنا وتسابق إليها الناس وقد يوجد فيها موضع واحد لي ، وإن النجيلة تفضل المنصورة بأنها أقل منها نودانا وأنه يمكن أن نجد في الدرجة الأولى منها بيتاً أو مخدعاً (قمره) خاصاً بنا. فتنزلنا فيها مع رفيقينا في يوم الأحد لا ربح بقين من ذي القعدة ، وقد علمنا بعد سفرها أنها أبداً بواخر الدنيا سيرا قبل لنا أنها تقطع ثمانية أميال في الساعة ولعلها لا تتم الستة إلا بالجهد ، وهي قديمة وسخة ليس فيها ضوء كهربائي ولا أجراس ولا مقاعد للاستراحة إلا كراسي المائدة في الدرجة الأولى، ولكن المخدع الذي خصص لنا فيها واسع جداً قلما يوجد في البواخر الكبيرة مثله في سمته وهو معد لنوم ستة أو سبعة ، وفيه عدة نوافذ. ثم أن ربانها سالم أفندي البدن من أحسن الناس أخلاقاً وعناية بالحجاج ، وهو من أقدم المستخدمين بهذه البواخر وقد حجب مراراً ، وطيبها مذهب حسن المعاشرة وهو طلياني يتكلم بالعربية العامية بطلاقة ولهجته فيها سورية ، فنشكر لهذين الرئيسين في الباخرة حسن عشرتهما وعنايتهما بنا خاصة وبسائر الحجاج أيضاً ، ولا نبخس خدم الباخرة حقهم من الثناء على حسن خدمتهم . وامل باخرتنا كانت تفضل المنصورة فيما عدا سرعة السير. وقد زارنا في الباخرة قبل سفرها محافظ السويس ثم صار إلى المنصورة لزيارة وفد العلماء السلطاني فيها

(حجاج باخرتنا النجيلة)

وأنسنا في الباخرة بصحبة كثير من ركاب الدرجتين الاولى والثانية وحمدنا أصحابهم وعشرتهم وأخص بالذكر منهم علما من أكبر علماء القطر المصري وأديبا من أفضل أدبائه . أما العالم فهو الاستاذ الشيخ عبد الفتاح الجمل شيخ علماء بور سعيد وقد كنت أسمع له ذكرا حسنا فرأيت أنه فوق ما كنت أسمع علما وفضلا وهديا وأديبا وانصافا في المذاكرة واستقلالا في الفهم ، وله مشاركة حسنة في التاريخ والادب ومعرفة أحوال العصر ، ولعله يتندر وجود مثله في علماء مصر . وأما الاديب فهو محمد توفيق علي (البيوزباشي) في الجيش المصري ، وهو يفضل من نعرف من أدباء مصر وضباطها في الاخلاق الدينية والمحافظة على العبادات ، وكثرة النظم في ذم الفواحش والمنكرات . وقد كان معه والدته وهي امرأة تقية زكية الفطرة واتفق ان كان نخدعهما ملاصقا لخدعنا فكانت ، الدتي وشقيقتي تأنسان بالمأما بهما وصحبتهما لهما ، وهي أقل منهما دوارا ، واكثر على مشقه البحر اضطبارا ، وقد حججت قبل هذه المرة . وكذلك كنت أنا آنس به ، فقد كنا أكثر الرفاق نلازما قلما نفترق الا في وقت النوم ، وكان أكثر حديثنا وسمرنا أول الصحبة في الشعر والادب وأقلهما في المسائل الدينية والعلمية والشؤون الاجتماعية ، الا اذا حضر المجلس الاستاذ الجمل فان الحديث يكون بعكس ذلك ، كما كان في أواخر العهد بالصحبة

وقد وزعت بعض نسخ المناسك على حجاج الباخرة قبل أن أقرأها وأصحح أغلاطها وبعضها بعد ذلك ، ولما علم الناس أنها بغير ممن كثر الطلب لها حتى من الاميين فصرت أشترط على من يأخذها من القارئین ، ان يقرأها لمن يجاوره من الرفاق الأميمين ، وكان انتشارها في المركب سببا لكثرة اختلاف الحجاج الينا للسؤال عن أحكام النسك ولا سيما واجبات الاحرام

كان سفرنا من مصر في أول الميزان وقد بدأ هواء الخريف المعتدل يطرد هواء الصيف الحار ويجليه عن أفق مصر ، وكأن ما كان يرحل منه عن مصر يذهب الى الحجاز ليحل محل هواء صيفه الذي هو أشد منه حرارة ، لذلك كنا كلما اوغلنا في الجنوب نشعر بأن جونا يرجع بنا القهقري الى الصيف فكان عامة من في السفينة لا

[المناز: ج ٩ م ١٩] لهو الحجاج واذكارهم البدعية ٥٦٥

يكادون يبرحون ظهرها الا الى حاجة غير النوم اذ كان جميع ركاب الدرجة الثالثة ينامون على الظهر وكذلك بعض ركاب الدرجة الثانية، وكان جل ركاب الدرجة الثالثة من أدنى طبقات المصريين قد دهمهم الى الحج دعا ما كان من عناية الحكومة ببعث حجاج بمحبون وحملها الاغنياء على مساعدة الفقراء على الحج بالمال، فوق ما كان من تسهيل سائر الاسباب، فكان أكثرهم يقطعون أوصال الليل باللهو واللعب، والغناء والطرب، ومنه ما يسمونه في اصطلاح أهل الطارق بالذكر، وهو ان يقف جماعة يتنون ويرقصون ويصيحون بأصوات منكرة: اء اء، أو: هو هو، أو حي حي، على صوت مغن يغنيهم ببعض الاغاني الحديثة أو الاشعار القديمة، فيكونون بذلك من الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا، وأقبح اللهو وأنكره وأقربه من غضب الله وأبعده عن مرضاته ما جعل ديناً، هؤلاء الذين يسمون أنفسهم ذاكرين لله يظنون أنهم خير من الذين يتغنون ببعض الاغاني لاجل التسلي عن فراق الأهل والولد مثلاً، وما ذلك اللهو الذي سموه ذكراً الا معصية، وما هذا اللهو الا ظنوه حراماً أو مكروهاً الا مباح، ولهم في ذكرهم هذا شر مكانا ممن قل فيهم بعض العلماء

أقل الله حين عبدتموه كلوا أكل البهائم وارقصوا لي

ولذكركم هذا دون الذكر مع الغفلة أو الغيبة الذي قل فيه الشيخ محي الدين ابن العربي
بذكر الله تزداد الذنوب وتنطمس البصائر والقلوب

ومن مظاهر الدين الباطلة في هؤلاء العوام ما كان يمثل رجل منهم شر تمثيل: كنا نسمع كل ليلة صوتاً منكراً أجش ينادي به صاحبه السيد البدوي بألقابه المشهورة في هذه البلاد، ويكثر من ذلك ويلح فيه بعد نوم الناس، متنقلاً على ظهر السفينة من مكان الى مكان، وكثيراً ما كان يقف بالقرب من بعض نوافذ مخدعنا فيزعج السيدتين وينقص عليهما نومهما، ولما تكرر ذلك منه بمحضته فاذا هو بزي أهل الطريق المتصنعين الذين يراءون الناس بلعاهم وثيابهم وحركاتهم وأصواتهم، فتلطفنا في وعظه واقناعه بترك ذلك الصياح ولكنه أقل منه ولم يتركه البتة.

هذا وانا لما حاذينا رابع آذن ربان السفينة الحجاج ببلوغ ميقات الاحرام فطلقوا يحرمون، وانا نرجى الكلام على الاحرام الآن لذكرك في هذه الرحلة مع

غيره من أعمال المناسك متصلاً بعضها ببعض ، ونسُـرسل في وصف السفر فنقول :
﴿ الوصول الى جده ﴾

وصلت المنصورة الى ثغر جدة ضحوة يوم الاربعاء وهو التاسع والعشرون من ذي القعدة ولم يلبث ركابها أن نزلوا منها ، وأما باخرتنا النجميلة فوصلت عشاء ليلة الخميس فلم تستطع التقدم الى موقف البواخر من الميناء لكثرة الصخور الخفية هنالك فأرست في مكان بعيد عنه ، وأما دخلت الميناء وأرست فيه ضحوة يوم الخميس فكان تأخر ركابها عن ركاب أختها ٢٤ ساعة ، والسفن تُرسى على بعد شاسع من البر في ذلك الثغر لركة الماء وكثرة الصخور ، فلما رأت الوالدة والشقيقة ذلك عراها الغم لأن الدوار يشتد عليهما في الزوارق الصغيرة ذات الشراع أو المجاذيف ويؤلما طول المسافة فيها ، وخافتا أن لا تصلا الى البر الا بحالة لا ترضيهما ، ولكننا لم نكد نستعد للنزول الا وكان صديقنا الكريم الشيخ محمد نصيف وكيل سيدنا الشريف الاعظم صاحب الحجاز^(١) قد جاء الباخرة في زورق كهر بائي أو بخاري (لنش) مع جماعة من سرارة جدة وكبرائها لاجل استقبالنا ، وقد أخبرونا بعد السلام انهم قد نزلوا أمس للسؤال عنا في باخرة المنصورة ، ثم اتنا بعد استراحة الزائرين نزلنا وأنزلنا معنا في الزورق ما خف من متاعنا وصغر حجمه وأرسلنا ما بقي في مراكب النقل الشراعية - وكان الرفيقان الشيخ خالد ومحمد نجيب افندي قد نزلا في بعضها ، - فسار بنا الزورق كالسهم فوصلنا بغاية الراحة ، ونزلنا ضيوفاً مكرمين في دار صديقنا الكريم الشيخ محمد نصيف ، وهي دار فسيحة واسعة الحجرات كثيرة النوافذ ، تفيض عليها الشمس أشعتها من الشرق والغرب ، ويتخلل النسيم حجراتها من كل مهب ، فهي في الذروة من دور جدة ، وكان الهواء معتدلاً في هذا الثغر ، لا يشتكى برد منه ولا حر ، وقد بلغني الصديق المضيف ، تحية سيدنا الشريف ، وصدور أمره العالي اليه بالعناية بنا ، وكان قد بلغ الديوان الهاشمي العالي موعد وصولنا كما بلغه مندوبه بمصر خبر سفرنا بالبرق ثم بلغ مضيفنا بمكة خبر وصولنا بالمسرة (التلفون) وتكلمت به مع

(١) يعلم القراء ان هذا وقع قبل مبايعة اهل الحجاز للشريف بالملك ونشر الرحلة بعد المبايعة لا يقتضي استعمال لقب الملك فيما يحكى فيها عما كان قبل ذلك

[المثار: ج ٩ م ١٩] عناية سيدنا الشريف وحفاوة اهل جدة بنا ٥٦٧

اخواننا محوري جريدة القبلة . وفي صبيحة اليوم التالي ورد على مضيفنا في البريد من المقام الهاشمي الاعلى رقعة شريفة هذا نصها :

نومرو ١٩٥

وكيل شرافة مكة المكرمة وامارتها بجده

معتمدنا الأعز

كتابك رقم ٢٧ الجاري وصل وعلم ماآله لاسيما من خصوص السيد رشيد رضا فقد أرسلنا قبلة وبتاريخه كان قصدا نشرك بالاستعداد لمقابته بما يقتضي له من الحفاوة وللمعلومية تحرري ٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٢٤ شريف مكة وأميرها الحسين بن علي

لم نكد نستقر في الدار الا وأقبل الزائرون المهشون يفدون علينا أفرادا وجماعات وفي مقدمتهم الشيخ مصطفى فهمي مامون نائب الحضرة الهاشمية في جده جاء بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن سيادة رئيسه الشريف محسن معتذرا عنه بالاشتغال بشؤون المحمل المصري . وقد تذكرنا فتذكرنا بعد التحية والسلام، فيما كان من تلاقينا أول مرة منذ بضعة أعوام ، ذلك انني زرت سورية عقب اعلان الدستور العثماني سنة ١٣٢٧ فأقت فيها أشهراً ثم عدت الى مصر على سفينة فرنسية من شركة المساجري واتفق ان كان في هذه السفينة مصطفى بك فهمي هذا قاصدا بور سعيد للسفر منها الى الحجاز فرأى اسمي بين ركاب الدرجة الاولى ولم يرني على مائدتها ولا على ظهرها مع الركاب لاتي أصبت بدوار خفيف لزممت لاجله مخدعي ولم يكن معي أحد فيه ، فسأل عني فدل علي فالتقينا وتعارفنا ، قال لي إن سيادة أمير مكة الجديد سيدنا الشريف حسين طلبني لأكون كاتب السر له — وكان موظفا بولاية حلب في عمل لا أذكره الآن — وانني لما علمت بوجودك هنا رغبت في لقائك واغتنام الفرصة في الاستفادة من رأيك فيما ينبغي لبلاد الحجاز من الاصلاح في عهد الدستور فان أميره الجديد لا بد ان يوجه همه الى إصلاح عظيم في هذه البلاد المقدسة وانت أولى من يستنار برأيه في هذا الامر ... فذكرت له ما خطر في بالي في ذلك الوقت القصير من وسائل حفظ الأمن ونشر العلم واصلاح حال البدو وسكة الحديد الحجازية ، وتواعدنا على المكتابة في كل ما يتجدد من الشؤون بتجدد الاعمال ،

وقد بدأ بالوفاء بوعده بعد وصوله الى مكة المكرمة بمدة وجيزة فكتب الي كتابا ذكر فيه انه عرض ماسمعه مني من الآراء على سيد الجميع فصادف القبول والارتياح ، وقد أجبته بما اقتضته الحال ، وكان من غرائب عهد الدستور اتني أرسلت اليه كتابا مسجلا فيه كلام يتعلق بخدمة الدولة وتمكين سيادتها في البلاد العربية فأعيد الي هذا الكتاب ولم توصله اليه ادارة البريد التركية ولا يزال عندي وقد وعدته باطلاعه عليه عند ما التقينا في جده لأنه كان في أوراقى ولكن لم ينيسر لي اخراجه في ذلك الوقت أقنا في جده من ضحوة يوم الخميس الى أصيل يوم السبت ولم أخرج من الدار في هذه المدة الا الى صلاة الجمعة في أقرب المساجد اليها ، وقد سمعنا خطيب المسجد يدعو للسلطان محمد رشاد في خطبته كالعادة. ولم أرد الزيارة لأحد لان الزائرين كانوا لا يكادون يفارقوننا الا وقت النوم ، وكان جل حديثنا معهم في المسائل الدينية والعلمية ، والمبرة الاجتماعية والسامية ، وانما اختلست منهم ساعات متفرقة كتبت فيها نبذة من التفسير المنار ومكتوبات أرسلتها الى مصر

كنت أتمنى لو ملكت وقتا أرد فيه الزيارة للزائرين الكرام فلما غلبت على الوقت قلت لهلي أملك بعد العودة من مكة المكرمة ما لا أملكه الآن ، ولكن وقت العودة كان أضيق كما يعلم في محله ، ولذلك طلبنا من صديقنا ان يكتب الينا أسماءهم لنؤدي لهم الشكر بالكتابة ، جزاء ما استحقوه علينا من الزيارة ، فكتب الينا زهاء ثلاثين منهم وهم الذين تذكركم فمن أهل العلم منهم الاساتذة الشيخ محمد حسين ابراهيم والشيخ أحمد الزهره والشيخ أحمد طه رضوان والشيخ اسحق بن حسن العباسي والشيخ محمد سعيد دردير خطيب مسجد عكاش ،

ومن رجال الحكومة عدا من ذكرنا مدير الشرطة مساعد اليافي ومدير الصحة الدكتور امين معلوف وقائد حامية الثغر عبد الرؤف عبد الهادي ورئيس كتاب الحجر الصحي رشيد باغمار ومحمد راغب الصنعاني من الكتاب ، وحسين ملوخية مأمور نقل البريد ، وكل هؤلاء يطلق عليهم لقب الشيخ للتكريم ، وقد أعجبني من الدكتور معلوف وعبد الرؤف ومساعد زيهم العربي فكانوا به أبهج في عيني منهم في زيهم الافرنجي التركي

[المنار: ج ٩ م ١٩] عبرة للمعتبرين وجناية المفسدين على المصلحين ٥٦٩

ومن كبراء الوجوه والتجار في الثغر الشيخ سليمان قابل رئيس البلدية والمشايخ زينل علي رضا وعبد الله علي رضا ومحمود زاهد ومصطفى درويش عبد ربه ومحمد بن احمد الهراز ومحمد باحفظ الله وعبد الله الحمد الفضل ومحمد العبد الرحمن الفضل ومن أصحاب الحرف وكلاء الاعمال المشايخ حمزه جلال تقيب وكلاء المطوفين وحسين بحيري من المطوفين وبكر وخميس وسليمان عزابه من وكلاء المطوفين ومحمد سعيد كيال شيخ السماسرة وعبد الرحمن فائق من كتاب شركة البواخر العمانية فنشكر لهؤلاء ولسائر من تفضلوا بزيارتنا (كالشيخ عبد الرؤف الصبان من طلبة دار العلوم المصرية وقد فاتنا ذكره مع علماء جدة) مودتهم وفضلهم، وقد علموا ما حال دون ما كنا نبغي من زيارتهم، وإن التقصير من الزمن لأمنا، والعذر عند كرام الناس مقبول ﴿ عبرة للمعتبرين * وجناية المفسدين على المصلحين ﴾

أظهر لي صديقي المضيف سروره وارتياحه لرؤيته إياي بثوبي الاحرام (الازار والرداء) وقد أثار عجبني وحزني أنه ظن أن من المحتمل أن أترخص بترك لباس الاحرام اعتمادا على الفدية. وقال لي لو رأيتك لا بلباس ثياب الحل لعزمت عليك أن لا تنزل جدة الا بلباس الاحرام، لئلا يظن بعض الناس أنك من قبيل هؤلاء المتهاونين الذين يجيشون هذه البلاد غير محرمين بحج ولا عمرة، وذكر لي شيئا يسيرا مما علمته بعد ذلك تفصيلا من حال بعض الشبان الذين جاؤا الحجاز ودخلوا مكة المكرمة نفسها، وكأنهم لا يعرفون شيئا من مكائدها، ولا حق بيت الله وشعائره فيها، فدخلوها غير محرمين، ومروا ببيت الله تعالى غير طائفين ولا مصلين، وترددوا بين الصفا والمروة غير ساعين ولا مرملين، فكانوا مضغة في أفواه الحجازيين، ومثالا مشوها لشبان المدنية المصريين، وحجة قاطعة لألسنة الذين يلفطون منهم بتكفير الانحاديين، لأنهم يساؤونهم في ضلالتهم، وهدمهم لشعائرتهم، ولكنهم يقصرون عنهم في الفيرة والاخلاص لآمتهم، والتفاني بخدمة دولتهم، وبذل النفس والنفيس في احياء جنسيتهم

لقد احزنني وامضني وساءني وأسفني ما قاله هذا الصديق الذي أعتقد أنه مأجبي في الله تعالى الا لاجل اعتصامي بديني وغيرتي عليه، ودعوتي الى احياء كتابه وسنته. وقلت في نفسي يا سبحان الله ! اذا كان مثل هذا المحب الحسن الاعتقاد قد بلغ (الجلد التاسع عشر) (٧٢) (المنار: ج ٩)

٥٧٠ محاسبة للنفس للتفرقة بين اتباع الهوى والحق [المنار: ج ١٩٣٩]

سوء تأثير بعض أولئك الشبان في نفسه أن تصور ذهنه في مثلي جواز دخول جدة بغير ثياب الاحرام ولو على سبيل الرخصة ، والقيام بما يجب بدل ذلك من الفدية ، فكيف يكون رأيه واعتقاده فيمن لا يعرف لأحد منهم حظا من علم أو عمل ، ولا يحفظ لأحد منهم في قلبه بعض ما يحفظ لي من الظن الحسن ؟

وقلت له محاولا كتمان اسفي ومكابرة امتعاضي: لو كان هذا اللباس (لباس الاحرام) مستحبا لا واجبا لما تركته تهاونا ولا إيثارا لما في اللباس المعتاد من الحشمة أو الزينة أو الرفاهة، وأنا أرجو أن اكون من أعلم الناس بفوائده واحرصهم على ادراكها بالعمل، ولو تركته لما استطعت انت ولا أحد من الناس ان يقنعني بإتيانه، لاني لا أتوكله — لو تركته — الا لعذر شرعي ملجئ، كأن اعتقد أنه يضرب بصحتي ضررا يجمل الواجب محظورا، وأكون بلبسه عاصيا لله تعالى لا طائعا، وأما نظر الناس فلا أبالي به في أمر الدين، وأعوذ بالله ان أكون من المرائين، بل تعودت — والله الفضل والمنة — ان لا أتصنع للناس ولا ادهن لهم ولا اتحرى مدحهم ولا أخاف انتقادهم في المصالح الدنيوية والامور العادية بحيث يحملني ذلك على ترك شيء أراه حقا أو مصلحة أو فعل شيء أراه باطلا أو مفسدة، وأقول مستطردا إنه قد عاداني كثير من الناس في هذا الخلق وآذوني لأجله ولم أؤذ أحدا منهم، وأرى اني غير مغبون معهم ، وأن هذا الخلق خير لي من مودتهم ، ولا سيما من أعرف منهم سوء النية ، وفساد الطوية ، ولكن بسوء ني أنه لا بد ان يوجد في أمثال هؤلاء من هو حسن النية يُخدع بالشبهة أو يقلد غيره فيما لا علم له به ، وأنه يعسر العثور على هؤلاء والتناصف معهم باقتناع كلامنا بحسن نية الآخر وإخلاصه، ورجوع الخطيء الى رأي المصيب ان ظهر صوابه ، وعذره إياه فيما لم يظهر له . ولم اذكر هذا التفصيل كله للصديق وإنما خطر في بالي عند الكتابة ان بيانه مفيد لأن مثله يقع لكل صادق مستمسك بعروة الحق لا يحابي ولا يدهن الناس فيه .

ومن دقائق هذا البحث ان الانسان كثيرا ما تغشه نفسه ويخدعه بتسمية العجب والكبر والاصرار على الهوى اعتصاما بالحق وصلابة فيه وقلة اكثرات بالمبطلين ، فينبغي للمخلص في اعتقاد نفسه ان يمتحن نفسه ويناقشها الحساب فيما يعاب به ويتقده منه، وهذا أمر عسير غير يسير، اذ يقل في الناس من يبلغ من يحب ما ينتقده

هو أو غيره عليه ويطلعه على عيوب نفسه ، كما يقل فيهم من يسلم من غيبة صديقه .
واكثر ما يبلغ الناس من الانتقاد عليهم أو انتقاصهم ، ما ينقل اليهم عن خصومهم وأعدائهم ،
وقل من ينظر في مثل هذا نظر الروية والانصاف فيستفيد منه ، وأما يستحوذ على
الاكثرين عند سماعة ثوران الغضب وخواطر الدفاع أو الانتقام ، واحمد الله تعالى
أن وقتي في ريعان الشباب وأوائل العهد بالرشد الى حمل اصدقائي على ارشادي الى
عيوبي ومكاشفتي بما يرونه أو يسمعون من الانتقاد علي ، ولا ازال أسأل عن ذلك
من أتوسم فيه النصيح وان كان اصغر مني سنا واقل تجربة ومعرفة ، واني لاجوج الى
نصيحة واحدة استعين بها على اصلاح نفسي ، من سبعين مسألة استعين بها على
إصلاح غيري . وقد توجد هذه النصيحة عند عامي يزيد ما عندي من العلم والاختبار
على ما عنده منهما سبعين ضعفا ، فيكون أعلم مني بما أنا اجوج اليه مما أفضله به
واما ما اكتبه فاني أطلب الناس بالانتقاد على ما يرونه منه خطأ أو باطلا ،
أطالبهم بذلك كتابة بما انشره في المنار كل عام ، وكل ما يكتب الي من ذلك أنشره في
المنار على حسب الوعد الذي أعد به عند طلب الانتقاد ، فان تعمدت اغفال شي —
وذلك نادرجدا — فانما أغفله لتكريم غيري ، لا لإخفاء عيبي ، ولا اذكر من ذلك
الآن الا رسالة ارسلها الي صديق مخلص من اشهر علماء الاقطار هفا فيها هفوات تزري
بقدره لو نشرت وتقدت وان تلتطف الناقد جهد الطاقة ، وبالغ في الادب حتى بلغ
حد الاستطاعة ، فأريت من الوفاء له ان اراجعها فيها ، واستأذنه بنشرها بعد التنبيه
لما فيها ، فلم يأذن . من أجل هذا أعتقد كما يعتقد جمهور قراء المنار أن آية الاخلاص
في انتقاد ما ينشر فيه ان يكتب ويرسل اليه ، لأن يقال أو ينشر في غيره من الصحف ،
فان نشر النقد في المنار نفسه هو الوسيلة لتمحيص الحقيقة عند من اطعموا على الكلام
المتقديف ، وأما فائدة الانتقاد عند المخلص فيه بيان الحق والصواب لمن ينتقد عليه
باطله او خطاه ، ولمن اطعم على ذلك وخشي ان قد يكون قد ضل به وهم قراء كلامه ،
وأما انتقاد ذلك في بعض البيوت او الأندية او الصحف التي لا يطلع أكثر قرائها
على ما يدعي المنتقد انه باطل وضلال فهو إذاعة للباطل ضارة لا يحمل عليها الا هوى
النفس ، وذلك من شأن المرائين المفسدين ، لا من شأن الصادقين المصلحين ،

وقد ذكرني ماقاله الشيخ محمد نصيف في مسألة الاحرام والسبب الحامل له على هذا القول ما انبأني به اخي في الله عز وجل العلامة الشيخ محمد مكي بن عزوز التونسي في الاستانة سنة ١٣٢٨ قال رحمه الله تعالى ما حاصله : كتب الي أحد اخواني من علماء تونس بعد العلم بتلاقينا هنا : اننا نعرف قيمة السيد محمد رشيد رضا العلمية ومقاصده الاصلاحية من مناره ... ولكننا نرى بعض الذين يلهجون بطلب الاصلاح حتى الديني منه لا تنطبق أعمالهم على اقوالهم فهم لا يؤدون فرائض الدين ولا يقيمون أركانها فضلا عما دونها من آدابها واحكامها ، فكيف رأيت صاحب المنار بعد المعاشرة والاختبار؟ قال فكتبت اليه بعض ما رأيت ومنه ان زيارته الاولى لي في داري كانت بعد العصر فصلى صلاة العصر عندي وكنت قد صليتها قبل قدومه منفردا فأعدها مقديا به ، فلم أر صلاة أكمل انطباقا على السنة من صلاته . وزرته مرة مع بعض الاخوان فقدم لنا الشاي ولم يشرب معنا لانه كان صائما . الخ

أليس من آية ضعف الدين ، وابتلاء الصادقين بالمنافقين ، وغمة الامر على المؤمنين ، ما دار من المكاتبة بين العالمين التونسيين في الصلاة والصيام ، ومن الحديث بيني وبين محمد نصيف في مسألة لباس الاحرام ؟ بلى واتي تذكرت في هذه اللحظة مسألة اخرى من هذا القبيل اذكرها اتماما للعبارة

دخلت مرة على الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد في نهار رمضان فرأيت عنده ابراهيم بك المويلحي جالسا يدخن بلفيفة من التبغ (سيكارة) فذكر المنار ومنع الحكومة الحميدية اياه من دخول البلاد العثمانية فجعل المويلحي يرميها بالجليل ويقسم ان المنار خير لها من فيلق من العسكر لما فيه من خدمة الدين الذي لا تنهض الامة بدونه ، وأظن في مدح الدين وتأثيره في الاصلاح وعدم الرجاء في نهضة المسلمين بدون ما يدعوا اليه المنار من الاصلاح الديني . علم بهذه الواقعة ابراهيم بك الهلباوي فاشار اليها في مقالة ارسلها الى المؤيد من أوربة يذكر فيها بعض عبر السفر مستطردا الى العبارة بها على سبيل التشبيه والمثل ، قال في وصف رجل — على ما أذكر — : كذلك الرجل الذي كان يكلم صاحب المنار في مدح الدين ... في شهر رمضان ولفيفة التبغ بيده يدخن بها . — او ما هذا مؤداه — فهم بعض الناس من عبارته ان الذي كان يدخن هو صاحب المنار المخاطب لا المتكلم

الذي يخاطبه، وان كان المتبادر من العبارة العكس وهو الذي يجري عليه الكتاب عادة في مثل هذه المسألة، اعني أنهم لا يصرحون باسم من ينتقدونه في مقام الاعتبار، فاذا صرح احدهم باسم المنتقد عليه أو بوصفه بما يعرف به لهوى له وقصد الى ذمه، لا تواتيه الجرائد المعتبرة (كالمويد) ولا تنشر ذلك له، فلوان صاحب المؤيد فهم من العبارة ما فهمه بعض الناس او خطر في باله انه قد يفهم منها ذلك لتصرف فيها بما يحول دون هذا الفهم بلغني وبلغ صاحب المؤيد رحمه الله ذلك في وقته فلم نحفل به، وقال هو ان هذا الفهم لا يخطر الا ببال بعض العوام، وهو لا يؤثر أدنى تأثير في سمعة صاحب المنار حتى عند من لا يعرف مكانته من هداية الدين، واذا كتب شيء لا يوضح الحقيقة ربما كان سببا للقبيل والقل. ثم علمنا ان هذا الفهم قد سبق الى اذهان بعض الناس في زائي الاقطار: جاءني يوما برقية من بمباي الثغر الهندي المشهور من محمد باشا عبد الوهاب شيخ دارين أحد ثغور نجد الجنوبية يقول فيه انه مسافر الى السويس في باخرة كذا بقصد الحج، فلما كان موعد وصول الباخرة رأيت من المروءة أن أذهب الى السويس للاقائه وان لم أكن أعرفه أو أعرف عنه شيئا من قبل، فوافيته فيها وكان معه جمهور من العرب ومسلمي الهند جاء بهم ليحجوا على نفقة. فقدم لنا لفائف التبغ (السكرير) على حسب العادة فاعتذرت، فعرضوا عليّ النارجيلة (الشيشة) فاعتذرت أيضا. فسألني الباشا عن السبب فقلت اني أكره هذا الدخان وقد حفظني الله تعالى من اعتياد التدخين في الصغر، فلا أتكلفه بعد العلم بضرره في الكبر، فقال اذا أنت لم تدخن في حياتك قط، قلت الامر كما ذكرت، فالتفت الى أصحابه وذكرهم بما دار من الخلاف في عبارة الهلباوي وكيف ظهر ان الصواب ما قاله من نزه صاحب المنار عن ان يكون هو المفطر في رمضان. على ان المسألة مسألة مجاهرة بالفطر، وهي أخش من الفطر في السر، لما فيها من سوء القدوة، وانتهاك الحرمة،

بعد هذا الاستطراد الطويل أقول ان بعض شباننا الذين أفسدت المدارس التركية أو الافرنجية عقائدهم، وشوهت حرية الكفر والفسق أخلاقهم وآدابهم، ولم يكن لديهم من التجربة والخبر، ولا من حكم العقل وصحة الفكر، ما يفرقون به بين الحجاز وبين الاستانة ومصر، لم يقفوا عند حد ترك الاحرام، قبل دخول

البلد الحرام ، وترك الطواف والصلاة والصيام ، بل تجرأ اءءهم على التصريح بالاعتراض على القرآن. وتجراً آءر على الطعن في بعض الخلفاء الراشءءن، بل على ما هو أكبر من ذلك من الضلال المبءن ،

من اجل هذا صار بعض الحجازءن ىسء الظن بمءمع افراد هذه النابئة الجديدة وبعضهم ىجعل سيرة هؤلاء الفاوئن ءجة ءى على من ظهرت عءاتهم من الوافءن، أما طءبعة الحرم بل طءبعة جزيرة العرب، فلا تطءق الصبر الطوئل على إلءاء الملهءن، ولا على توسءء الاعمال الى الفساق المءاهرئن، وأما ماعءا الجزيرة من البلاد العربية فستءءو نابئها ءءو النابئة التركءة ، وان فءها من ىوء ءقلء ءمعة الاءءاء ، فى السءاسة والعصبىة واللاءء، ولكن آمالهم أءنى من آمالهم ، ومآلم شر من مآلم ، فأنهم لا ىرجون ان ىكون لهم ءولة كالدولة العثمانىة ىغلبون على أمرها، وىمتازون بقوة مالها وقوة ءنءها، وسىظهر ءالهم ومقصدهم ، وما ىكون من ءأءره فى بلادهم وأمئهم.

تقرّظ المطبوعات الجديدة

ءاب الحرب الاورىة- أو فلسفئها-

لا أعرف أءءا من العامة ولا من الخاصة ىصدق ءمع ما ىنشر فى ءرائء من أءبار الحرب والسءاسة ولا أكثره ، وانما ىصدق اناس ما ىوافق عقولهم ، وآءرون ما ىوافق أهواءهم . وأهل البصىرة ىعلمون ان أصءاب ءرائء فى بلادنا لا ىعرفون ءمع الحقائق التى ىعرفها أصءاب ءرائء فى أوربة ، وانه لا ىباح لهؤلاء ولا لأؤلئك ان ىنشروا كل ما عرفوا ، فان ما ىنشر فى ءرائء فى هذه الءال ىرأءه عءء ءمع الام ما ىترتب علیه من ءأءر، لا ءمءص الحقائق ولا ءءوئن ءارئء، وانما ىرءى ان ءءون الحقائق بعء الحرب بسنئن ، بأقلام أركان الحرب وأءرار المؤرخئن . وأءءر الناس باظهار الحقائق فى كل زمن هم الحكماء ورجال الاصلاح الاءءامى والءءقق ءارئءى، واذا قلت ان (ءوستاف لوبون) هو أشهر ءكماء الاءءام وفلاسفة ءارئء فى هذا العصر لا أكون مبالغاء، فانه قد اءئر فى الشرق كما اءئر فى الغرب بما ءرءم من ءئبه الاءءامىة باللغات الشرقىة كءاب ءطور الام وكءاب

روح الاجتماع ، وبما كتبه في تاريخ أعظم أمم الشرق ، ككتاب حضارة العرب وكتاب حضارة الهند . وقد كتب كتابا في فلسفة هذه الحرب بين فيه مناقشتها النفسية ، وأسبابها الخفية والجليّة ، وكيفية تولدها ونماها وسيرها في كل أمة من الأمم المتقاتلة ، وكونها معاملة لعل خفية ما كان في استطاعة أحد أن يحول دون ترتبها عليها ، ولم تكن بارادة دولة من الدول ولا ملك من الملوك ، خلافا للكثيرين الذين غلطوا في ذلك . ومن مباحث الكتاب بيان انقلاب الطرق الحربية والعواطف التي توقظ داعية الحرب ، وتأثير الاغلاط النفسية والحربية فيها ، وإيقاظها للشعور الديني ، والطرق الحربية الألمانية وتأثيرها ، ونتائج الحرب المجهولة وعقبات الصلح ، وغير ذلك من الفوائد ، مستنبطا مسائله وقواعده من الوثائق الرسمية ، وأجدر الاخبار بالثقة

مثل هذا الفيلسوف الكبير يكتب ما يعتقد ، وقد بدأ التمهيد الذي جعله مقدمة للكتاب بقوله : « ليس غرضي من هذا الكتاب درس حوادث الحرب الاوربية وإنما الذي أرمي اليه استقصاء الظواهر النفسية التي أدت اليها والتي رافقتها منذ نشأتها ، فان تدوين وقائعها بانصاف واخلاص ليس بميسور لنا اليوم . وان الاهواء لا تزال منسلطة على نفوسنا ، ولا يتسنى للأجيال التي تخلق التاريخ أن تدونه . ولا بد من فترة تمر بعد انتهاء المآسي البشرية حتى يتمكن الانسان من اكتشاف سرها وادراك حقيقتها ، فان التاريخ لا ينصف الا الموتى »

ومن أراد أن يستفيد من هذه الحرب علما وفلسفة وعبرة وبصيرة فعليه بهذا الكتاب وهو قد ترجم بالعربية وطبع في مطبعة الهلال

﴿ كتاب ثورة العرب — مقدماتها وأسبابها ونتائجها ﴾

أنف هذا الكتاب عضو من أعضاء بعض الجمعيات العربية ، هو سوري أقام في الأستانة عدة سنين وفي مصر عدة سنين لا عمل له الا الاشتغال بالسياسة ، والاقطاب التي تدور عليها مباحث الكتاب تنحصر فيما يأتي :

الحرب الاوربية والشرق . المسألة الشرقية وفروعها . المسألة العربية وأدوارها . العرب والترك في الماضي . العرب والاتحاديون . تأليف الجمعيات العربية وأسبابه . المؤتمر العربي الاول ونتائجه . نيات الاتحاديين ومعداتهم والاتحاديون والاسلام

٥٧٦ كتابا المذابج في ارمينية والكنز المفقود [المنار: ج ٩ م ١٩]

والعرب ، تفاقم الخطب ، انفجار البركان . المبايعة بالملك على العرب . مستقبل العرب . ما من مسألة من مسائل هذا الكتاب الا ولدينا علم تفصيلي فيها . وقد قرأت نبذا متفرقة منه لاقف على منهاج مؤلفه فيه ، فظهر لي مما قرأت ومما أعلم من اخلاق المؤلف وآدابه أنه اجتهد ونحري الحق فيما كتبه بحسب ما وصل اليه علمه وفهمه مما رأى وروى ، ومما سمع وقرأ . ومما بينه في كتابه أن أذكاء العرب قد أجتأهم سيرة الاتحاديين وسيرهم بالدولة والاحداث التي حدثت في عهد دستورهم الى تأليف الجمعيات والاحزاب للمحافظة على مقومات أمنهم وترقيتها في عهد الدستور في ظل الدولة العثمانية مع الاخلاص لها والحرص على دوام الارتباط بها . وقد صدق . نقلنا في هذا الجزء فصلا من فصول الكتاب وربما ننقل عنه غيره ، وقد بلغت صفحاته ٢٤٦ صفحة من قطع المنار ومن النسخة منه عشرة قروش صحيحة

﴿ المذابج في ارمينية ﴾

كتيب للشيوخ فائز الفصين بين فيه مارآه بعينيه وسمعه بأذنيه من رجال الحكومة الاتحادية الطورانية وضباطها من حوادث واخبار الفتك بالارمن . والكتاب من أبناء رؤساء عشائر العرب في حوران تخرج في مكتب الدولة الملكي بالاستانة وانتظم في سلك حكومتها الادارية ، وقد كان حظه من تنكيل حكومته بأمثاله من نجباء العرب النفي الى أرضروم ، ولكنه سجن في ديار بكر بضعة اشهر وهي قطب الرحى لتلك الاحداث وفيها وفي طريقها رأى وروى مادونه في كتيبه من الفظائع التي تقشع منها الجلود ، ثم تيسر له الفرار الى البصرة ثم الى الحجاز فحصر وغرضه من الكتاب تبرئة الاسلام والمسلمين من قتل احد بغير حق ولا سيما النساء والاطفال وبيان ان تبعة مذابج الارمن في اعناق الحكومة الاتحادية دون سواها .

﴿ الكنز المفقود ﴾

قصة خيالية كتبت ببعض اللغات الافرنجية وترجمتها بالعربية الكاتبة المشهورة (ماري نجار) وغاية مؤلفها منها بيان شأن المرأة المهذبة وان جمال المرأة وذكاءها وثروتها لانغني عنها شيئا اذ لم تكن مقرونة بالتهذيب . ولذلك قدمتها المترجمة الى الصحف العربية التي يعنى أصحابها « برفع شأن المرأة ومساواتها بالرجل وتشجيعها على رفع صوتها والسماح لها بنشر أفكارها على صفحاتها » وصفحات القصة ٢٣٥ من القطع الصغير ومن النسخة منها ٥ قروش .